

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)





الخفاش الأزرق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ــ الأسطورة الخرافية (*) ..

سبق قيام حضارة (الأزتيك) العظيمة فى (المكسيك) ، حضارة أخرى قبلها ، تسمى (التولتيك) .. وقد قطعت هذه الحضارة شوطًا طويلًا فى التقدُّم والرُّقىّ ، لم تحظ بمثله غيرها من الحضارات ، فى تلك الحقبة من الزمن ، فى ذلك الموقع الجغرافى الذى يشمل كلًّا من أمريكا الشمالية والوسطى واللاتينية .

وكان شعب حضارة (التولتيك) ــ الذى كان يشغل الهضاب المكسيكيّةِ القديمة ، قبل انهيار دولته ، وبزوغ حضارة (الأزتيك) ــ على جانب كبير من الثروة والغنى .. حتى قيل إن ثراء دولة (التولتيك) القديمة كان ثراءً أسطوريًا .

(*) الجزء المتعلق بالمقدمة التاريخية حقيقى وثابت تاريخيًا ..

وقيل أيضًا إنها امتداد لحضارة أخرى أكثر قدمًا ، اندثرت بفعل عوامل مجهولة تاريخيًا ، وإن هذه الحضارة القديمة التى تفرَّعت منها حضارة (التولتيك) ، كانت على صلة ما — بصورة أو بأخرى — بالحضارة الفرعونية القديمة .

بل إن بعض المؤرِّخين والأثريِّين ، يذهبون فى الاعتقاد إلى أنه ربما كانت هذه الحضارة هى امتداد لهجرة فرعونية قديمة ، من شمال الدلتا إلى هضْبة المكسيك ..

وأن الأجداد الحقيقيِّين لـ(التولتيك) هم الفراعنة ، الذين جاءوا من شمال وادى النيل عن طريق مراكب الشمس ..

ويرى بعض الأثريِّين والمؤرِّخين الذين يتبنَّوْن هذا الرأى ، أن أبلغ دليل على ما يذهبون إليه ، هو هذا التشابه الكبير بين معابد (التولتيك) القديمة التى عُثر عليها المستكشفون ، وبين المعابد الفرعونية ، والأهرام المدرَّجة التى تعرف باسم (تيوكاليس) ، التى شيَّدها أبناء (التولتيك) القدامى .

وفى سبيل الكشف عن الحقيقة وراء هذا الاعتقاد الذى تبنّاه عدد من المؤرخين ، شُكِّلت بعثة من علماء الآثار من كل من مصر وإنجلترا وألمانيا ، للتنقيب فى إحدى المناطق الجبلية المكسيكية ، بالاستعانة بمجموعة من الخرائط الفرعونية القديمة ، التى سجلت على أوراق البردىّ ، التى يقول العلماء إنها تشير إلى وجود مقابر فى بلاد الشمس القديمة ، تحوى مومياوات بعض ملوك الفراعنة ، مختلطة بمومياوات ملوك حضارة أخرى فى تلك البلاد البعيدة ..

وكانت المهمة الأولى للبعثة الأثرية ، هى تأكيد اتصال الحضارة المصرية القديمة بالحضارة الأم لدولة (التولتيك) .

ووصل أعضاء البعثة الكشفيَّة إلى المكسيك ، حيث توجَّهوا إلى منطقة جبلية وعرة ، تضم العديد من الكهوف ، تعرف باسم جبال (كاميرو) للقيام بعمليات التنقيب ، تمهيدًا لأعظم كشف أثرى فى العالم .

وبينما كان العمال المصاحبون للبعثة ، منهمكين فى عملية الحفر وكسر الأحجار الجرانيتية داخل أحد الكهوف

الجبلية ، وقف أحد علماء الآثار الإنجليز يتحدث مع زميله المصرى يقول :

ــ أتعتقد أن الخريطة المرسومة على أوراق البردىّ ، تشير الى وجود مقبرة فرعونية حقيقية فى هذا الكهف ؟.

أجاب عالم الآثار المصرى :

ــ فى الواقع .. يصعب الجزم بذلك .. إذ أن الكهوف فى هذه الجبال تبدو متشابهة إلى حدٍّ كبير .. وليست هناك علامة مميَّزة يمكن أن يُستدَلّ منها على الكهف الذى يحوى مثل هذه المقبرة .. اللّهمَّ إلّا تلك الأشكال الحجرية التى تشبه الخفاش .. وحتى هذه أيضًا يوجد منها ثلاثة أو أربعة تماثيل ، فى مداخل بعض الكهوف الأربعة التى تقف أمامها تماثيل الخفاش الحجرية .

قال العالم الإنجليزى :

ــ بالمناسبة .. ألا ترى معى أن هذه التماثيل الحجرية غريبة الشكل إلى حدٍّ ما ؟.

العالم المصرى :

ــ لقد لاحظت ذلك .. فهى تبدو وكأنها خليط من رجل وخفاش فى آن واحد .. فالوجه واليدان والجناحان تشبه الخُفّاش ، فى حين أن الذراع والصدر والقدمين لآدمىّ .

العالم الإنجليزى :

ــ إن ذلك قد يعنى أن (التولتيك) ، أو من سبقهم من حضارات فى تلك البلاد ، كانوا يتشابهون مع الحضارة الفرعونية فى بعض رموزها .. كما هو الحال بالنسبة لتمثال (أبى الهول) ، الذى يبدو برأس آدمى وجسد أسد .. وكذلك تلك الرسوم التى زيِّنت بها جدران المعابد المصرية ، التى تصوِّر إله العدالة ، ممثَّلًا فى جسد آدمى ، ورأس صقر .

العالم المصرى :

ــ فى الواقع إن دراسة تاريخ حضارة (التولتيك) على وجه التحديد ، لا يعطى دلالة حقيقية على إيمان أبناء هذه الحضارة ، بوجود مثل هذه الآلهة أو الرموز ، التى يعبر عنها بالمزج بين الحيوان والبشر .. ولكن من يدرى ؟ فربما أن

الحضارة المجهولة التى كانت وراء حضارة (التولتيك) ، كان لديها مثل هذا الإيمان ، وربما نبع ذلك من اختلاطها بالحضارة الفرعونية ، إذا أثبتنا صحة هذا الامتزاج بين الحضارتين ، أو اعتبار إحداهما مصدرًا للأخرى .

واقترب أحد العلماء الألمان من العالمين : المصرى والإنجليزى ، قائلًا لهما :

— إن الكثير من هذه الكهوف الجبلية ، تضم بين جدرانها مقابر لملوك وأمراء حضارة (التولتيك) ، ووجود هذه التماثيل الحجرية التى تشبه الخفافيش الآدمية بالقرب

من هذه الكهوف ، يحمل على الظن أن الغرض منه حماية قبور الموتى بداخلها .

العالم المصرى :

— أتقصد أنها تقوم بنفس الدور الذى يعتقده المؤرخون ، عن أن (أبى الهول) قام كحارس للأهرامات ؟.

العالم الألمانى :

— تمامًا .

العالم الإنجليزى :

— هل تذكرون تلك القصة التى رواها لنا أحد المرشدين المكسيكيين المصاحبين للبعثة ، عن سبب امتناع أهالى قرية (كاميرو) التى مررنا بها ، عن العمل معنا فى التنقيب ، برغم الأجور المجزية التى عرضناها عليهم . لقد قال لنا إن الأهالى يخشون من انتقام (الخفّاش الأزرق) ، الذى تحل لعنته وانتقامه على القرية ، فى كل مرة يقدم فيها شخص ما على الاقتراب من منطقة الكهوف الجبلية .. وأنهم يخشون المجىء إلى ذلك المكان ؛ لأنهم يعدُّونه ملعونًا .

العالم الألمانى :

ـــ أتقصد أن هناك علاقة بين تلك الخرافة وهذه التماثيل الحجرية ؟.

العالم الإنجليزى :

ـــ أظن ذلك .. فقد روى لى أحدهم فى أثناء إقامتنا القصيرة بالقرية ، أن ذلك الخفاش حقيقة واقعة ، وأنه قتل عددًا من أبناء القرية ، فى حين أنه هو نفسه محصن ضد الموت .. كما قال لى إنه سمع عن أبيه ، أن ذلك الخُفَّاش قد هاجم أمامه أحد الأهالى وقتله ، وأن له رأس وجناح خفَّاش وجسد رجل .

العالم المصرى :

ـــ إنها لا تعدُو أن تكون محض خرافات ، يتوارثها الأهالى هنا .. ولكن من يدرى ؟ ربما أن لها أصولًا تاريخية ، وأن تلك الأصول مستمدة من معتقدات كانت سائدة لدى دولة (التولتيك) القديمة ، وربما قبلها .

وفجأة صاح أحد الحفَّارين ، قائلًا للعلماء الثلاثة :

ـــ أيها السَّادة .. انظروا ماذا وجدت هنا .

واقترب العلماء الثلاثة م،ن مكان الحفر ، بعد أن انضم إليهم زميلهم الرابع ؛ ليفحصوا ما كشفه الحفَّار .

وعلت وجوههم الدهشة ، وهم يحملقون فى ذلك الشىء .

وصاح أحدهم قائلًا :

ـــ غير معقول .. ماذا جاء به إلى هنا ؟

وقبل أن يفيقوا من دهشتهم ، كانت هناك مفاجأة أخرى فى انتظارهم .

فقد انطلقت فجأة صرخة مدوِّية من أحد الحفارين ، وبدت على وجه أمارات الذُّعر والفزع ، وهو يشير بيده إلى مدخل الكهف .

ونظر العلماء الأربعة إلى المدخل ، ليطالعهم مشهد رهيب .. فقد كان يسد المدخل عملاق ضخم ، له جسد آدمى ، ورأس خفاش ، وأجنحة يناهز طولها المترين .

كان الكائن العجيب يكتسى كله باللون الأزرق ، فى

حين كانت عيناه متوهجتين بالاحمرار ، وكأنها جمرات من نار .. وتملّك الجميع الرُّعب ، وصرخوا معًا فى آن واحد قائلين :

— إنه .. إنّه .. (الخفاش الأزرق) !!

* * *



٢ — مهمة فى المكسيك ..

وفى القاهرة وفى منزل أحد الأصدقاء ، كان (ممدوح) جالسًا يشاطر صديقه لعبة الشطرنج .

وفيما هو منهمك فى اللعب ، أصدرت ساعته الإلكترونية فجأة ذلك (الصوت المميَّز) ، الذى يشبه أزيز طائرة هليوكبتر مقبلة من بعيد ، والذى كان أصدقاؤه — من غير العاملين معه بإدارة العمليات الخاصة — يظنُّونه صوتًا من أصوات الإعلان عن التوقيت .. تتميز به بعض أجهزة الساعات الحديثة .. غير أنه هو وحده الذى كان يدرك أن ذلك (الأزيز) ليس إلّا إشارة لاسلكية من مكتب الاتصالات بالإدارة .. وأن ذلك يعنى أنهم يطلبون منه أن يتوجَّه إلى مكتبه فورًا لأمر هام .

وبالفعل .. فلم يكد (ممدوح) يتلقَّى الإشارة ، حتى نهض يلتقط (جاكتته) من فوق المقعد المجاور ، قائلًا لصديقه الذى نظر إليه فى دهشة :

ــ معذرة يا (نادر) .. لقد تذكَّرت الآن موعدًا هامًّا .. ولا بُدَّ أن أفارقك توًّا ..

وداعبه صديقه قائلًا :

ــ موعد هامّ ؟! أم أنك تريد أن تفلت من الهزيمة ؟.. لقد تأكَّدت أننى أحاصرك ، فأردت أن تنتحل عذرًا لعدم إكمال اللعب .. أليس كذلك ؟.. عمومًا سأترك رُقعة الشطرنج على حالتها ، حتى نتقابل فى غدٍ لنكمل اللعب ، وبلا أعذار هذه المرة .

ممدوح :

ــ ليكن .. إلى اللقاء .

ومضى (ممدوح) إلى الباب على عجل .. ولكنه قبل أن يدير المقبض توقَّف قليلًا ، ثم استدار عائدًا إلى حيث رُقعةُ الشطرنج ، وأخذ ينظر إلى القطع التى فوقها برهة ، قائلًا لصديقه :

ــ ولكن لِمَ الانتظار إلى غد ؟

ومدَّ يده ليحرِّك إحدى قطع الشطرنج ، نحو القطعة التى تمثل الملك ، قائلًا لصديقه :

ــ كِشّ ملك .. !

ثم رفع نظره إليه مبتسمًا ، وهو يقول :

ــ لقد انتهت اللعبة يا صديقى .. فلا داعى لانتظارى ؛ لأنى ربما أبطئ عليك فترة طويلة .

وانصرف تاركًا صديقه فى دهشة لتلك اللعبة المفاجئة الذَّكيَّة ، التى أحالت انتصاره ــ الذى كان قاب قوسين أو أدنى ــ إلى هزيمة محققة ..

* * *

وفى حجرة مدير إدارة العمليات الخاصة ، جلس (ممدوح) أمام مكتب اللواء (مراد) ، الذى كان واقفًا خلف مكتبه ، وأمامه نشرت خريطة كبيرة لأمريكا الوسطى .

ولاحظ (ممدوح) أن هناك دائرة بالقلم الأحمر حول جمهورية المكسيك ، ودائرة أصغر حول منطقة تدعى (كاميرو) داخل حدودها .

قال له اللواء (مراد) :

ـــ أتذكر الرحلة التى حاول أن يقوم بها العالم النرويجى (ثورهيردال) ، من مصر إلى المكسيك ، بواسطة مراكب الشمس ؟..

ممدوح :

ـــ نعم .. لقد كان يرمى من وراء رحلته ، إلى أثبات أن الفراعنة وصلوا إلى أمريكا الوسطى واللاتينية بواسطة مراكب الشمس ، واتصال الحضارة الفرعونية بالحضارات القديمة فى تلك البلاد .

اللواء (مراد) :

ـــ لقد سافرت بعثة من علماء الآثار إلى المكسيك منذ فترة لإثبات شىء من هذا القبيل ، وهو أثر الحضارة المصرية القديمة على الحضارات الأخرى التى ظهرت فى تلك البلاد ، وضمَّت هذه البعثة علماء من إنجلترا وألمانيا ، ومعهم عالم الآثار المصرى الشهير الدكتور (نجيب) .

ممدوح :

ـــ نعم .. لقد نشرت الجرائد بعض الأخبار عن هذه البعثة .

اللواء (مراد) :

ـــ لقد اختفت هذه البعثة فجأة منذ عدة أيام ، دون أن تترك وراءها أثرًا .

ممدوح :

ـــ كيف ؟

اللواء (مراد) :

ـــ ذلك هو ما نريد أن نعرفه .. هناك سرٌّ غامض وراء اختفائهم المفاجئ .. ومع إنهم كان لديهم أجهزة لاسلكية للاتصال ، إلَّا أنهم لم يستخدموها سوى مرة واحدة ، مع إحدى المحطات القريبة من حدود (كاميرو) .. كما أن دوريات الاستطلاع التى تحرَّكت للبحث عن أفراد البعثة ، لم تكشف أى أثر يدل حتى على موتهم .. إن الغموض المحيط بذلك الاختفاء الذى ليس له مبرِّر ـــ للبعثة الأثرية التى تضم واحدًا من كبار علمائنا المتخصِّصين فى الآثار ـــ أمر يثير القلق والحيْرة .. ولذلك قرَّرنا إيفادك إلى هناك لتحرِّى الحقيقة ، والبحث عن سرّ ذلك الاختفاء الغامض .. ستتجه

أولًا إلى العاصمة المكسيكية ، ومنها إلى قرية (كاميرو) ، وهى القرية التى بدأت منها البعثة رحلة البحث عن الآثار .

ونهض (ممدوح) واقفًا ، وهو يقول دون مناقشة :

ـــ إنى على أتم استعداد للسفر يا سيادة اللواء .

اللواء (مراد) :

ـــ لقد حجزنا لك فى الطائرة التى ستقلع صباح غد ، فى طريقها إلى المكسيك ..

* * *



٣ ـــ الفندق الغامض ..

وصل (ممدوح) إلى قرية (كاميرو) ، بعد رحلة شاقة من القاهـرة إلى العاصمـة المكسيكية ، ثم إلى مدينـــة (دورانجو) ، ومنها إلى تلك القرية النائية التى تعيش فى حضن الجبل .

كان أهالى القرية من البسطاء ، الذين يتعيَّشون من بعض الزراعات الجبلية ، والصناعات اليدويَّة الصغيرة .

ومضى (ممدوح) إلى الفنـــدق الصغير والوحيـــد بالقرية ، حيث وجد صاحبه نائمًا على الأريكة الممتدة أمام مكتب الاستقبال ، والفندق يكاد يخلو من الرُّوَّاد ، كما كان واضحًا إن الأثاث من الداخل رثّ ومتهالك ..

ونقر (ممدوح) بأصابعه على الأريكة الخشبية ، التى كان الرجل نائمًا فوقها ، فهبَّ الرجل من نومه كالملسوع .. ولم يكد نظره يقع على (ممدوح) حتى تهلَّل وجهه ،

وانطلق لسانه يلهج بعبارات الترحيب المفرط ، التى دلت على ندرة روّاد الفندق .

قال له (ممدوح) :

ـــ أأجد لديك غرفة خالية ؟.

ضحك صاحب الفندق قائلًا :

ـــ إن جميع الغرف هنا خالية ، ويمكنك أن تختار منها ما تشاء .

ـــ ممدوح :

ـــ إننى لا أريد سوى غرفة نظيفة ، أقضى بها ليلة أو ليلتين .

صاحب الفندق :

ـــ بكل سرور يا سيِّدى .. سأنادى أخى (ألفريدو) ، ليغدّ لك الغرفة التى تطل على ساحة القرية .

ممدوح :

ـــ شكرًا لك ..

وضغط صاحب الفندق على جرس صغير أمامه ، فأقبل شخص نحيف ، حادّ القسمات ، قال له الرجل :

ـــ (ألفريدو) .. خذ بعض الأغطية النظيفة إلى الغرفة المطلّة على ساحة القرية ، وانقل حقائب السيِّد إليها .

ممدوح :

ـــ فى الحقيقة أنا لَمْ أحضر معى سوى حقيبة صغيرة (هاندباج) .

صاحب الفندق :

ـــ ألَّا تريد قضاء وقت طويل لدينا ؟.

ممدوح :

ـــ نعم .. يومًا أو يومين على الأكثر .

صاحب الفندق :

ـــ حسنًا .. أعد الفراش للسيِّد يا (ألفريدو) ، حتى أنتهى من أخذ بعض البيانات منه .

ومضى (ألفريدو) إلى الدور العلوى دون أن ينبس بحرف ، أو يظهر على وجهه انفعال ما .. فيما طلب

صاحب الفندق من (ممدوح) أن يقدِّم له جواز سفره ، ليثبت بياناته عنده ..

وأبرز له (ممدوح) جواز السفر ، فقلَّب الرجل صفحاته متسائلًا :

ـ أأنت مصرى ؟

ممدوح :

ـ نعم .

صاحب الفندق :

ـ لقد كان لدينا فى الفندق فى الأسبوع الماضى بعثة من علماء الآثار ، ومن بينها عالم مصرى ..

وكأنما أدرك الرجل أن لسانه قد زلَّ .. فقد أمسك عن الحديث بغتة ..

سأله (ممدوح) :

ـ أتعرف شيئًا عن الجهة التى اتجه إليها أفراد هذه البعثة ؟.

أسرع صاحب الفندق يجيب فى تلعثم :

ـ لا .. لا أعرف .. لقد كانوا بالنسبة لى مجرَّد زبائن ، قضوا ليلتين فى فندق ، ثم رحلوا دون أن أعرف عنهم شيئًا آخر ..

وحاول (ممدوح) أن يستوضحه أكثر .. لكن الرجل أنهى الحديث قائلًا :

ـ الغرفة جاهزة يا سيِّدى .. سيرشدك إليها (ألفريدو) .

وصعد (ممدوح) فى السُّلَّم الخشبىّ ، الذى كان (ألفريدو) بقسمات وجهه الجامدة واقفًا فى نهايته ، ينتظر (ممدوح) ، ليرشده إلى غرفته .. كانت الغرفة بسيطة ورثَّة الأثاث ، شأنها شأن بقية أجزاء الفندق .

ودسَّ (ممدوح) فى يد (ألفريدو) ورقة نقدية ، قائلًا له :

ـ هل نزل بعض أفراد بعثة الآثار الدوليَّة بهذه الغرفة ؟.

ألفريدو :

ــ نعم يا سيِّدى .

ممدوح :

ــ ألَّا تعرف إلى أين اتجهوا ، بعد مغادرتهم الفندق ؟.

ألفريدو :

ــ إلى جبال (كاميرو) للتنقيب عن الآثار ..

ممدوح :

ــ ولكن كيف اختفوا بعد ذلك ، ولَمْ يظهر لهم أثر ؟.

فأجابه (ألفريدو) فى برود :

ــ ليس هذا من شأننا يا سيِّدى .. أى خدمة أخرى ؟

ممدوح :

ــ ألَمْ يتحدَّث معك أحدهم بشىء ما قبل رحيله ؟.

ألفريدو :

ــ إننى لا أتحدَّث غالبًا مع الزبائن ، إلَّا فيما يتعلَّق بطلباتهم من الفندق .. فهل لك أى مطلب يتعلَّق بالطعام ؟.

ووجد (ممدوح) ألَّا فائدة ترجى من الحديث مع مثل هذا الرجل ، فقال له منهيًا حديثه :

ــ لا .. لا شىء فى الوقت الراهن ..

وغادر (ألفريدو) الغرفة بعد أن أوصد بابها خلفه ، وتوجَّه إلى صاحب الفندق ، قائلًا له فى صوت خفيض :

ــ (خوان) .. يبدو أن هذا الرجل قد جاء ليثير المتاعب ، فلديه الكثير من الأسئلة .

خوان :

ــ إنه مصرى .. هل لاحظت ذلك ؟ ومدوَّن فى مهنته أنه صحفى .. وأنت تعرف ما يجلبه الصحفيُّون من متاعب .. عليك أن تخطر (ويلبور) .

* * *

استغرق (ممدوح) فى نوم عميق من فرط التعب ، حتى أنه لم يشعر بذلك الرجل الذى تسلَّل إلى غرفته فى الظلام ، وفى نيته فتح حقيبته الجلدية ، والعبث بمحتوياتها .

ولكن من سوء حظ الرجل أنه ارتطم بأحد المقاعد وهو يحاول فتح الحقيبة ، فسقط على الأرض محدثًا ضجة ، هبَّ (ممدوح) على أثرها من نومه ..

ووجد (ممدوح) نفسه فجأة وجهًا لوجه أمام هذا الغريب ، الذى اقتحم عليه غرفته .

واستتر الرجل بالظلام ، ليوجّه لـ(ممدوح) لكمة قوية فى فكّه ، ثم أسرع يعدو نحو النافذة .

وحاول (ممدوح) أن يلحق به ، لكن الرجل كان قد أسرع بالقفز من النافذة إلى الأرض القريبة ، مطلقًا ساقيه للريح ..

وأضاء (ممدوح) مصباح الغرفة ، ليجد (ألفريدو) وصاحب الفندق واقفين ببابها .

ابتدره صاحب الفندق متسائلًا :

ــ ماذا حدث يا سيّدى؟ لقد سمعنا جلَبة بحجرتك ، فصعدنا لنستطلع جليّة الأمر ؟.

ممدوح :

ــ لقد كان هنا شخص بغرفتى .. ولكنه لاذ بالفرار .

فعقب (ألفريدو) دون اكتراث :

ــ إن اللصوص يكثرون فى هذه القرية ..

ممدوح :

ــ ولكن كيف دخل إلى حجرتى ؟. لقد كانت النافذة موصدة قبل أن يقفز منها .. ولم يكن أمامه سوى الباب ، فكيف قفز من الباب الخارجى للفندق ، وصعد إلى الدَّوْرِ الأعلى دون أن يلحظه أحد منكما ؟.

ألفريدو :

ــ إن الفندق قديم ، وبه منافذ كثيرة للدخول .. كما أن أبوابه ليست على درجة من الإحكام ، بالقدر الذى يحُول دون فتحها .

قال (ممدوح) لصاحب الفندق بضيق :

ــ ألَّا ترى أن أخاك يقدِّم دعاية سيِّئة عن فندقك ؟.

أجابه صاحب الفندق بكلمات مرتعشة :

ــ فى الواقع نحن لا نضمن سلامتك فى فندقنا يا سيِّدى ، فهناك من لا يرغب فى وجودك هنا .. وأنصحك بمغادرة المكان غدًا .

ممدوح :

ــ ماذا تعنى ؟.

صاحب الفندق :

ــ أعنى ما قلته لك يا سيِّدى .. نحن لا نريد أن نجلب لأنفسنا المتاعب ، وأرجو أن تغادر الفندق صباح غد ..

ثم استدار يتبعه أخوه ، ليهبطا درجات السُّلَّم المؤدِّى إلى الطابق السفلى ، دون أن ينتظروا ردًّا من (ممدوح) ، الذى وقف وقد عقلت الدهشة لسانه ..

★ ★ ★



٤ ــ الرصّاصة المجهولة ..

غادر (ممدوح) الفندق فى اليوم التالى ، وأخذ يجول فى أرجاء القرية .

وبينما هو ماضٍ إلى أحد المقاهى الصغيرة التى تتناثر هناك ، مرَّ بمتجر متواضع للبقالة ..

وكم كانت دهشته حين ناداه صاحب المتجر قائلًا :

ــ سنيور .. هل تسمح ؟.

وتوقَّف (ممدوح) وهو يتساءل عما يريد منه الرجل .. كان فى حوالى الخمسين من عمره ، وشعره الأبيض يتهدَّل فوق رأسه ..

وقال له الرجل :

ــ أجئت للتنقيب عن الآثار ؟. أم للبحث عن بعثة الآثار المفقودة ؟.

ردَّ (ممدوح) فى سخرية :

ـــ يبدو أن الجميع فى هذه القرية يعرفون سبب مجيئى إلى هنا ، بالرغم من أننى لم أصل إلَّا أمس فقط ؟.

صاحب المتجر :

ـــ لا شىء يظل سرًّا فى قرية صغيرة كقريتنا .. إننى أنصحك يا ولدى أن تجنِّب نفسك المتاعب ، وتكُفَّ عن المضىِّ فى هذه المهمة الخطرة .

ممدوح :

ـــ وهذه أيضًا هى المرة الثانية التى أسمع فيها مثل هذه النصيحة .. أى متاعب يمكن أن يسبِّبها بحثى عن بضعة أشخاص مفقودين ؟.

قال صاحب المتجر :

ـــ هل معنى ذلك أنك تنوى الذهاب إلى جبال (كاميرو) ؟

ممدوح :

ـــ بالطبع .

صاحب المتجر :

ـــ إن مسالك الجبال خطرة للغاية ، وذهابك إلى هناك سيجلب علينا اللعنة والخراب ..

ممدوح :

ـــ كيف يؤدى ذهابى لمثل ذلك المكان إلى الخراب واللعنة كما تقول ؟. أتقصد اللَّعنة التى يقال مثلها فى بلادى عن لعنة الفراعنة ؟.

صاحب المتجر :

ـــ لا .. إنها لعنة حقيقية ، وليست أسطورية .. لعنة يوقعها بنا حارس الكهوف .

رفع (ممدوح) حاجبيه فى عجب متسائلًا :

ـــ حارس الكهوف ؟!

أجاب صاحب المتجر :

ـــ نعم .. (الخُفَّاش الأزرق) .

ممدوح :

ـــ ماذا تقصد بـ (الخُفَّاش الأزرق) ؟

بدا على صاحب المتجر الضِّيق والضجر ، فقال له وهو يلوِّح بيده فى يأس :

— لا جدوى من أن أشرح لك ؛ فأنتم — الأجانب — لا تفهمون ذلك ، كل ما أريد قوله إن وجودك خطر على قريتنا ، التى لم يعد فيها مكان لأغراب .. وعليك أن ترحل بأسرع ما يمكنك من (كاميرو) بأسرها .

قال (ممدوح) فى إصرار :

— أن معى تصريحًا بزيارة بلادكم ، ولم أرتكب أية مخالفة قانونية ، وما دام الأمر كذلك ، فأعتقد أن من حقّى أن أذهب إلى أى جهة أريدها داخل الحدود المكسيكية .

ثم استدار متابعًا طريقه ، وهو فى دهشة من حديث الرجل ..

واختار (ممدوح) مقعدًا جلس عليه ، فى المقهى الصغير المجاور لمحل البقالة ، والمطل على ساحة القرية ، وطلب فنجانًا من القهوة .

ولم يفطن (ممدوح) أن رجالًا ثلاثة كانوا يجلسون حول منضدة مجاورة ، وهم ينطرون إليه شذرًا .

قال أضخمهم ، وهو يدقّ المنضدة التى أمامه بقبضته فى عنف :

— إن ذلك الأجنبى لا يريد مغادرة قريتنا ، بالرغم من إنذاره .. أتراه يصرُّ على أن يتحدّانا ؟.

فقال زميله :

— دَعْنا نجْبره على الرحيل يا (ويلبور) .

أجابه الرجل الضخم قائلًا :

— نعم ، سنفعل ذلك .. فكل دقيقة يقضيها هنا تنذر بالخطر ، وتعنى إعلان الخُفّاش لغضبه .. ونحن جميعًا نعرف ماذا يعنى ذلك الغضب .

ونهض (ويلبور) من مقعده ومعه زميلاه ، متجهين نحو منضدة (ممدوح) ، ليقول له بغلظة :

— سنيور .. هل فرغت من شرب قهوتك ؟.

رفع (ممدوح) ناظريه إلى ثلاثتهم ، وأدار بينهم عينيه ، وقال :

— نعم .. هل من خدمة أؤديها لكم ؟.

ويلبور :

ـــ نعم .. إن (أتوبيس) القرية سيرحل بعد خمس عشرة دقيقة إلى (دورانجو) ، ونريد منك أن تصحبنا الآن ؛ لتكون بداخله عند رحيله .

قال (ممدوح) فى استخفاف :

ـــ لماذا ؟. هل ارتكبت خطأ ما ؟.

ويلبور :

ـــ سترحل بدون إلقاء الأسئلة .. اتفقنا ؟

قال (ممدوح) فى برود :

ـــ لا أعتقد ذلك .. فأولًا : أنا لا أحب أن يرغمنى أحد على فعل شىء ، وثانيًا : أنا معجب بقريتكم ، برغم أن أهلها لا يبدون ودًّا نحوى ، وثالثًا : وهذا هو الأهم ، فأنا لن أرحل من هنا إلى (دورانجو) ، وإنما إلى جبال (كاميرو) ؛ لكى أتمّ المهمة التى جئت من أجلها .

ولوّح الرجل بقبضته قائلًا :

ـــ إنك لن تذهب إلى تلك الجبال قطّ .. وما دمت مصرًّا على عدم الرحيل بأتوبيس القرية مختارًا ، فسوف

أضعك فيه بنفسى ، ولن تغادره إلّا فى (دورانجو) .. أما إذا عدت مرة أخرى ، فسوف يكون فى ذلك نهايتك .

قال (ممدوح) فى تحدٍّ :

ـــ حاول إذن أن تجبرنى على تنفيذ ما تريد .

ويلبور :

ـــ سترى .

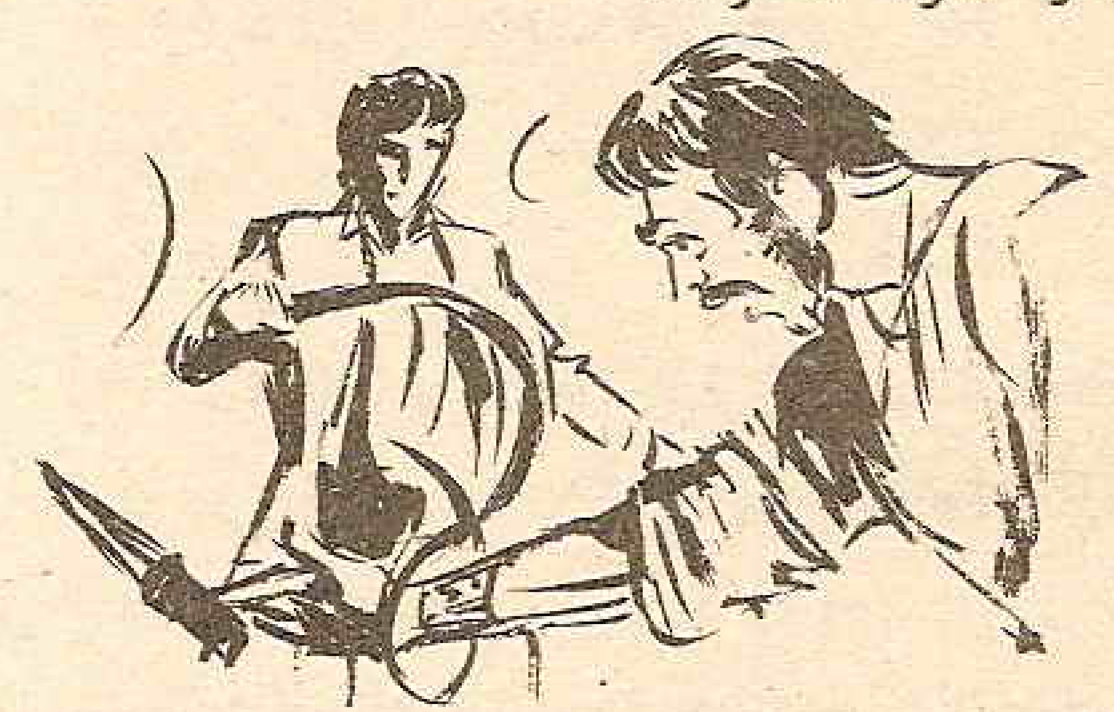
ومدَّ الرجل يده ليجذب (ممدوح) من ياقة قميصه .. ولكن (ممدوح) دفع يديه بعيدًا ، ووجّه إليه لكمة قوية ردّته إلى الخلف وهو يترنّح ..

وحين رأى زميلاه ذلك ، هجم أولهما على (ممدوح) ، موجّهًا إليه لكمة مفاجئة فى فكّه ، فى حين رفع الآخر سوطًا ، أخذ ينهال به على جسد (ممدوح) .

ورفع (ممدوح) يديه أمام وجهه اتقاء لذعات السَّوْط .. وسرعان ما أمسك بطرفه ليجذب الرجل نحوه بقوة ، مسدّدًا إلى عنقه ضربة عنيفة من ضربات الكاراتيه بحدّ يده الأخرى .. ثم عاجله بضربة ثانية فوق صدغه الأيسر ،

جعلته يترنَّح وهو يسقط على جنبه ، وقد أفلت السَّوْط من يده .

وتجمع أهل القرية حول الساحة الواسعة أمام المقهى ؛ ليشاهدوا المعركة الدائرة ..



فيما أمسك (ممدوح) بالسَّوط ، ينهال به فى ضربات سريعة على أيدى (ويلبور) وزميله الآخر ، فى اللحظة التى استلَّا فيها خنجريهما ، فأسقطهما على الأرض .

ثم بحركات رشيقة سريعة ومتتابعة ، راح يسدِّد لثلاثتهم ضربات قوية من ضربات (الكونغ ــ فو) الصينية ، بقدمه المدرَّبة ، جعلتهم يترنَّحون من الألم .

قال لهم (ممدوح) ، بعد أن تساقطوا جميعًا إلى الأرض :

ــ أرى أنكم ستفهمون الآن ، أننى لست من ذلك الطراز الذى يقبل الاتفاقيات الإجبارية ..

ونظر إلى أهالى القرية ، وهو يعدل من هندامه قائلًا :

ــ لقد جئت من أجل البحث عن أفراد البعثة الأثرية المفقودة .. ففيها أحد مواطنى بلادى .. وأريد مرشدين لمساعدتى فى مهمتى ، وإرشادى إلى الكهوف الجبلية ، وسوف أدفع لهم أجورًا مجزية .. فمن كان منكم على استعداد للتعاون معى فليتقدم ..

ولكن أهالى القرية بدءُوا يتفرَّقون ، دون أن يبدو على أحدهم أدنى استعداد لقبول ذلك العرض ، الذى عرضه (ممدوح) عليهم ..

قال لهم (ممدوح) وهو يصيح فيهم فى ضيق :

ــ لماذا لا تريدون مساعدتى ؟ أتصدِّقون الخرافات والأكاذيب التى تدور حول (الخُفَّاش الأزرق) ولعناته ؟! إن ذلك كله لا يعدُو أن يكون محض خرافات وأباطيل !!

ولم يكد (ممدوح) ينهى حديثه ، حتى كانت رصاصة مجهولة المصدر ، قد انطلقت لتصيب كتفه .

وعلى الأثر سقط (ممدوح) على الأرض وهو ينزف ، فيما ابتعد الجميع مهرولين ، ما عدا شخصًا واحدًا ، تقدَّم نحوه بثبات ليحمله من على الأرض .

* * *



٥ ـــ الثائرون ..

أفاق (ممدوح) من غشيته ، ليجد نفسه ممدَّدًا فوق فراش بسيط ، وقد التفت الأربطة والضمادات حول كتفه ..

وبدأ يدير ناظريه فيما حوله متحيِّرًا .. لقد كان آخر شيء يتذكَّره ، هى تلك المعركة التى دارت فى الساحة أمام المقهى .. ثم تلك الرصاصة المجهولة التى استقرت فى كتفه .

وفجأة ، انفتح باب الغرفة .. ودخل عليه صاحب المتجر ، الذى التقى به فى أثناء ذهابه إلى المقهى .

ابتسم الرجل قائلًا له :

ــ حمدًا لله على سلامتك .. إنك محظوظ أيها الشاب ؛ فالرصاصة قد مسَّت كتفك فقط دون أن تستقر فيه ، وهذه الأربطة من أجل الخدوش التى أحدثتها الرَّصاصة .

سأله (ممدوح) :

ـــ من الذى أطلق علىَّ هذه الرَّصاصة ؟

أجابه صاحب المتجر :

ـــ ليس المهم هو من أطلق عليك الرَّصاص .. المهم هو أنك لن تضمن الاحتفاظ بالحظ إلى جانبك دائمًا ، لتنجو فى المرة القادمة .

سأله (ممدوح) وهو مقطب الجبين :

ـــ أيعنى ذلك أننى سأكون معرَّضًا لإطلاق النار علىَّ مرة أخرى ؟

صاحب المتجر :

ـــ بل مرات عديدة .. إذا ظللت مصرًّا على عدم مغادرتك لـ (كاميرو) .

ممدوح :

ـــ فِيمَ كل هذا العداء ، لمجرَّد وجودى فى قريتكم ؟.

صاحب المتجر :

ـــ ليس الأمر أمر موقف عدائى نحوك .. ولكن كما قلت لك من قبل إنه الخوف .. الخوف مما قد تجلبه على قريتنا

من متاعب ؛ فكلنا هنا نعرف أن الذهاب إلى كهوف (التولتيك) والنبش فى قبور موتاهم ، يعنى الموت والخراب .. الموت والخراب اللَّذان يجلبهما حارس الكهوف .. (الخُفَّاش الأزرق) .. ذلك الكائن المخيف الذى ينتقم من كل من تُسوِّل له نفسه الاقتراب من مومياوات (التولتيك) ، وكل أرض يمر عليها .. كلنا نعرف ذلك .. من أجل هذا لا نذهب إلى هناك قط .. إنها النصيحة الأولى التى تلقَّيناها ونحن أطفال صغار .. إيَّاكم والذهاب إلى كهوف (التولتيك) أو الاقتراب منها .. ولكن الغرباء لا يلتزمون بهذه النصيحة .. إن السائحين والمستكشفين يأتون إلى هنا ، ثم يذهبون إلى الكهوف الجبلية لمشاهدة أطلال حضارة قديمة ، والمحظوظ منهم هو الذى يستطيع أن يعود من ذلك المكان الرهيب ..

ممدوح :

ـــ وما الضرر الذى يعود عليكم أنتم من ذهاب أولئك الأغراب إلى هناك ؟

صاحب المتجر :

ـــ إنهم يمرُّون بقريتنا أولًا ، وفى كل مرة يذهب أحد منهم إلى هُنالك ، يأتى (الخُفَّاش الأزرق) إلى القرية ؛ لينتقم من أهلها ، جزاء على سماحهم لأولئك الأغراب بالذهاب إلى الكهوف .. إنه لا يكتفى بالانتقام منهم ، ولكنه يأتى لينتقم منّا أيضًا .

ممدوح :

ـــ أمن أجل هذا لا يسمح الأهالى لأى شخص بالاقتراب من تلك الكهوف ؟

صاحب المتجر :

ـــ نعم .. لقد أجبرتنا السلطات المحلِّية على السماح لبعثة الآثار بالمرور فى قريتنا ، وهى فى طريقها إلى كهوف (التولتيك) ؛ ولذلك لم نستطع أن نمنعهم ، ولكننا توقَّعنا أن يحدث شىء ما لتلك البعثة وللقرية ، بعد ذهابهم إلى ذلك المكان المشئوم .. وقد صحَّ ما توقَّعناه ؛ فقد اختفى أفراد البعثة، وجاء (الخُفَّاش الأزرق) فى إحدى الليالى بعد

اختفائهم ، وأحرق مخازن الغلال بعيونه النارية ، وقتل اثنين من أهالى القرية .

ممدوح :

ـــ أتؤمنون بهذه الخرافة إلى هذا الحدّ ؟

صاحب المتجر :

ـــ أمامك مخازن الغلال المحترقة وقبر الرجلين ، وأولئك الذين شاهدوا ذلك الكائن المخيف ، وهو يفتك بضحاياه ، وأطلقوا عليه النار دون أن يصيبوه .. يمكنك أن ترى وتسمع من كل أولئك ؛ لتعرف أن كل ما قلته لك حقيقة ، وليس خرافة .

قال (ممدوح) وهو يهزّ رأسه فى عنادٍ :

ـــ حتى لو أن ما تقوله حقيقة ، فلن يفلح فى إرهابى ، أو إثنائى عن المضىِّ فى مهمتى .. فسوف أذهب إلى هنالك ..

صاحب المتجر :

— لن يسمح لك الأهالى بذلك .. سيقتلونك إذا حاولت . كما أنك لن تجد من يقبل أن يكون مرشدًا لك فى ذلك التيه الجبلى ، أو يمدك بأى مساعدة .

وفجأة تناهى إلى مسمع الرجلين أصوات ضجيج وصخب بالخارج ، فقال الرجل لـ (ممدوح) :

— انتظر هنا حتى أرى ما يحدث .

ونظر الرجل من شرفة منزله ، ليجد جمعًا غفيرًا من أهالى القرية يلتف حول منزله ، وهم يتصايحون ويلوّحون بأيديهم فى غضب ..

صاح فيهم صاحب المتجر :

— ماذا تريدون ؟.

وأجابه (ويلبور) الذى كان يتقدّم الجمع :

— نريد أن تسلّمنا الغريب الذى تؤويه فى منزلك .. والذى يصرُّ على أن يجلب الشؤم إلى القرية .

صاحب المتجر :

— ولكنه ضيفى ، ولن أسمح لأحدكم أن يمسّه ..

ويلبور :

— إنه سيجلب الموت والخراب إلى القرية ، ولابدّ من رحيله أو موته .

ثم نظر إلى باقى الأهالى ، متسائلًا فى استنكار :

— أتريدون الخراب لدياركم والموت لكم ولأبنائكم ، لمجرّد أن (بانشو) — اسم صاحب المتجر — يريد أن يبدو مضيفًا كريمًا ؟

أجابه الجميع بغضب :

— بل لابدّ من موته أو رحيله فى الحال .

صاح فيهم (بانشو) :

— أعطونى فرصة لإقناعه بالرّحيل .

غير أن (ويلبور) صاح فى غضب :

— لن ننتظر حتى تقوم بإقناعه ، فلدينا من الوسائل ما يقنع أمثاله .. دَعْه يخرج لنا ؛ ليقوم بعضنا باصطحابه إلى خارج القرية ، أو اصطحابه إلى القبر .. أمامك خمس دقائق حتى تفعل ذلك ، وإلّا حطّمنا دارك بمن فيها .

وارتد (بانشو) إلى (ممدوح) حائرًا ، وعلى وجهه أمارات الأسى والقنوط ..

قال له (ممدوح) :

ـــ لا تخف أيها الرجل الطيِّب .. فلن أسمح لهم بأن يمسُّوك أو يمسُّوا دارك .. سأخـــرج إليهم ، وأتظاهـــر بالرَّحيل ، ولكن لا أخفى عليك ، أننى سأعود بطريقة أو بأخرى ، ولن أتراجع عن أداء واجبى ، الذى كلَّفْتُه ، مهما كانت العواقب .

قال له (بانشو) وهو يمسك بذراعه :

ـــ لا .. لن تخرج إليهم .. لقد ضربت (ويلبور) أمام أهالى القرية .. وأنا أعرف (ويلبور) جيِّدًا ؛ إنه لا يغفر أبدًا لمن يهينه ، وأغلب الظَّنّ أنه لن يكتفى بترحيلك خارج القرية ، وإنما سيرسل أتباعه خلفك ، أو يؤلب الأهالى عليك حتى يقتلوك .. تعال معى ؛ فهناك باب خلفى يفضى إلى مخزن قديم خلف المنزل ، ستنفذ منه إلى حيث توجد التلال الصخرية ، فهى بداية الطريق إلى جبال (التولتيك) ..

سوف تجد مرتفعًا صخريًّا قريبًا من هذه التلال على هيئة رأس ذئب .. انتظرنى هناك ، فسوف ألحق بك بعد أن أفرغ من أهالى القرية ، فقد قرَّرت أن أكون مرشدك إلى الكهوف .

قال (ممدوح) فى اشفاق :

ـــ ولكن ...

بانشو :

ـــ لا وقت للمناقشة .. فلتسرع ولا تُضِع الوقت ، فأنا أسمع صوت (ويلبور) وقد بدأ يثير الأهالى من جديد ..

* * *



٦ ـ الرِّحلة المجهولة ..

مضى (ممدوح) إلى المرتفع الصخرى فى التلال القريبة من القرية ، حيث جلس هناك فى انتظار قدوم (بانشو) .. وظل فى مكانه لا يبرحه حتى أرخى الليل سدوله ، دون أن يظهر له (بانشو) .

ورجح (ممدوح) أن الرجل ربما قد عدَل عن مصاحبته فى هذه الرحلة الخطرة .. أو ربما قد تعرَّض للأذى من أهالى القرية لمساعدته له على الهرب ..

وحين انتهى (ممدوح) إلى هذا الخاطر ، شعر بتأنيب الضمير ، وبأنه كان يتعيَّن عليه ألَّا يذهب ، تاركًا الرجل وحده فى مواجهة عاصفة الغضب ، التى قادها ضده (ويلبور) وأهالى قرية (كاميرو) .. وقرَّر أن واجبه يحتِّم عليه أن يعود مرة أخرى إلى القرية ، لمساعدة ذلك الرجل الطيِّب العجوز .



وبينما هو يتأهب لذلك ، لمح ظلًا لشبح يتحرَّك غير بعيد ، صاعدًا فى المرتفع الصخرى .

وعلى ضوء القمر ، رأى (بانشو) العجوز وهو يصعد إلى قمة المرتفع .

وأسرع (ممدوح) إليه قائلًا :

ــ حمدًا لله أنك بخير .. لقد قلقت عليك .

ابتسم (بانشو) وقال :

ــ لقد أبطأت عليك ، حتى أجمع بعض المعدَّات والمؤن ، التى يمكن أن تعيننا على إتمام الرِّحلة .

ممدوح :

ــ تُرى .. أحَاول بعضهم أن يتعقَّبك إلى هنا ؟

وابتسم (بانشو) قائلًا :

ــ لو كانوا يتعقَّبوننى ، لقتلونى قبل أن أصل إليك .. إنهم لن يجسروا على المجيء إلى هذا المكان بعد أن وصلنا إليه ، فنحن الآن فى بداية المنطقة المحرَّمة ، أو المنطقة الملعونة ، كما يطلقون عليها فى (كاميرو) .. ولن يجد أهالى القرية أمامهم سوى الدُّعاء بأن يجنِّبهم الله انتقام (الخُفَّاش



الأزرق) ، الذى يعلمون جيِّدًا أننا سنكون أول من يحل علينا غضبه .

ممدوح :

ــ معذرة يا سيِّدى .. أتأذن لى بأن أسألك سؤالًا ؟.

بانشو :

ــ تفضَّل .

ممدوح :

ــ لِمَ تعرِّض نفسك لكل هذه المخاطر من أجل مساعدتى ، برغم اعتقادك كسائر أهل القرية بشرور ذلك المكان ، وذلك الكائن الذى يتخذ منه وكرًا ؟.

سرح (بانشو) بنظره إلى التلال الممتدَّة أمامه ، وقال ونظرات الأسى فى عينيه :

ــ لأن ابنى من بين أفراد البعثة المفقودة .

سأل (ممدوح) بدهشة :

ــ ابنك ؟!

بانشو :

ــ نعم .. اسمه (ماركو) ، وهو شاب جرىء وشجاع مثلك تمامًا .. لقد صمَّم أن يكون ضمن المرشدين

المصاحبين لبعثة الآثار ، برغم أننى حاولت أن أثنيه عن ذلك بوسائل شتّى .. لكنه كان يقول لى دائمًا إنه يفضل مواجهة الشيطان ، عن أن يظل أسيرًا للخوف من هذا المكان ، وإنه كثيرًا ما ذهب إلى تلك الكهوف وهو صغير ، برغم التحذيرات التى كنت ألقيها على مسامعه .. وما دام قد فعل ذلك وهو صغير ، فهل يخشى الذهاب إلى هناك وقد أصبح شابًا ناضجًا ؟.

ولكنى أكاد اجزم أن السبب الرئيسى الذى جعله يصرُّ على تحمُّل مخاطر هذه الرِّحلة ، هو أن علماء الآثار عرضوا عليه مبلغًا كبيرًا من المال ، فى مقابل قيامه بدور المرشد لهم ، وهو يعلم جيِّدًا أننا بحاجة إلى المال ، بعد أن تزايدت ديوننا ..

ولم أستطع أن أمنعه .. فذات ليلة فوجئت برحيله مع أفراد البعثة ، دون علمى .. وحين قابلتك حاولت أن أثنيك عن ذلك المصير المجهول ، الذى تعرَّض له ولدى (ماركو) ، ولكنى حين رأيت إصرارك وتصميمك على البحث

عن أحد مواطنيك ، ممن كانوا ضمن أفراد البعثة ، شعرت بالخجل ؛ لأننى كنت أقل منك شجاعة وإصرارًا على البحث عن ولدى .. وأحييت فىَّ أملًا جديدًا ، إذ ربما أعثر عليه ، وأجده على قيد الحياة .. لذا قرَّرت أن أصحبك إلى هنالك مهما كانت المخاطر .

وربَّت (ممدوح) على كتفه قائلًا :

ــ إننى أقدِّر شعورك .. دَعْنا ندعو الله أن نجد ولدك والآخرين أحياء .

وبعد أن جفَّف (بانشو) دموعه ، قال لـ (ممدوح) :

ــ سننتظر حتى يلُوح أول شعاع من الفجر ، ثم نبدأ رحلتنا .

ممدوح :

ــ بالمناسبة .. هل تعرف المكان الذى مضت إليه البعثة الأثرية على وجه التحديد ؟.

بانشو :

ــ كما قلت لك .. إن أحدًا منا لم تطأ قدماه كهوف (التولتيك) منذ زمن بعيد .. ولكن حين حضر أفراد

البعثة إلى قريتنا ، أحضروا معهم عدة خرائط ، تحدِّد الجهة التى سيتَّجهون إليها للقيام بكشفهم ، وقد سلَّموا إحدى هذه الخرائط لولدى (ماركو) ، بعد أن وافق على مشاركتهم رحلتهم .. ولكنه نسيها فى المنزل قبل رحيله .. وها هى ذى الخريطة قد أحضرتها معى .

ممدوح :

ــ حسنًا .. سنستعين بها فى البحث عن أفراد البعثة ..

ثم نظر (ممدوح) إلى (بانشو) قائلًا :

ــ يمكنك العودة إذا شئت .. فحسبى هذه الخريطة وتلك المؤن التى أحضرتها ، كى أستطيع مواصلة المهمة وحدى ، دون الحاجة لكى أشركك فى مخاطرها .. ولك الخيار ..

بانشو :

ــ لقد قبلت مشاركتك تلك المخاطرة منذ اللحظة التى أويتك فيها بمنزلى .. فكما قلت لك ، لقد جدَّدت عندى

الأمل فى العثور على (ماركو) حيًّا ، ورؤيته مرة أخرى ، وأنا على أتمِّ استعداد لمواجهة لعنات هذه الجبال وشرورها ، فى سبيل تحقيق هذا الأمل ..

* * *

تابع (ممدوح) و (بانشو) طريقهما ، وسط المناطق الوعرة والجبال الصخرية يومين متصلين .

كانت الرِّحلة شاقَّة ، والطريق مضنيًا ، خاصة تحت وقْدَة الشمس الحارقة نهارًا ، ولذعات البرد القارس مساءً .

وحين لاحت لهما المنطقة الجبلية التى تحوى كهوف (التولتيك) ، ما دريا أن هناك عيونًا ترصدهما من بعيد ..

* * *



٧ ـــ كهوف الرُّعب ..

تقدَّم (ممدوح) ورفيقه إلى أحد الكهوف .. وكان هو الكهف الثالث ضمن الكهوف التى أشارت إليها الخريطة .. ومضيا يبحثان فيه دون جدوى ، عن أى أثر قد يهديهما إلى مكان اختفاء علماء الآثار .

لم يكن هناك فى انتظارهما سوى السُّكون الرَّهيب ؛ الذى أخفى عليه ظلام الليل ، وصفير الرِّياح بالخارج ، والخوف من المجهول ، مزيدًا من الرَّهبة والمهابة .

وعند مدخل كهف آخر ، عثر (ممدوح) على نظَّارة طبِّية صغيرة ، تحطَّمت إحدى عدساتها .

وأمسك (ممدوح) بالنظَّارة يتأمَّلها ، فى حين قال له (بانشو) :

ـــ إنها تخصّ أحد علماء الآثار ، فقد رأيت أحدهم يضع فوق عينيه واحدة مثلها .

ممدوح :

ــ ربَّما .. وربَّما كانت لأحد المستكشفين القدامى .

بانشو :

ــ بل أنا على يقين من أنها لواحد منهم .. وبالتحديد الإنجليزى .

أخرج (ممدوح) من حقيبته الصورة الخاصة بعلماء البعثة ، وراح يتأمَّلها .. كان اثنان منهم بالفعل يضعان نظَّارات طبِّية فوق عيونهما .

وأضاء (ممدوح) كشَّافه الكهربائى ، متقدِّمًا فى أعماق الكهف المظلم ، يتبعه (بانشو) الذى كان ممسكًا ببندقيته التى أحضرها ، وسلَّط (ممدوح) ضوء الكشَّاف الكهربائى على جدران الكهف الصخرى ، لكنه لم يلمح شيئًا يدل على وجود أى أثر للحياة داخل ذلك الكهف .

قال له (بانشو) :

ــ أرى أن تقتصد فى استخدام ضوء الكشاف ، إذا كنت تريد أن تستكمل البحث فى باقى الكهوف الأخرى .

إن رائحة هذا الكهف ، تدلُّ على أن كائنًا من الأحياء لم يطرقه منذ عدة أعوام .

قال له (ممدوح) وهو يطفئ ضوء كشَّافه ، وقد تهيَّأ للخروج من الكهف .

ــ الحقُّ معك .. دَعْنا نخرج الآن من ذلك المكان الكئيب .

واستدار (بانشو) خارجًا من الكهف يتبعه (ممدوح) ، ولكن فجأة تردد صوت زمجرة قوية ، وأحسَّ الرجلان بشىء يتحرَّك فى مدخل الكهف .

صاح (ممدوح) قائلًا :

ــ احترس !!

وصوَّب (بانشو) بندقيته تجاه ذلك الشىء الذى تحرك فى ظلام الكهف .. ولكن لم يكد يفعل ، حتى كانت الزمجرة قد تعالت ، ووثب ذلك الشىء نحوه فى اللحظة التى أضاء فيها (ممدوح) كشَّافه .

وارتعدت فرائص (بانشو) ، وهو يرى ذلك الشىء

يحطُّ فوق كتفه ، والدّماء تسيل فوق قميصه ، دون أن يدرى من فرط الرُّعب ، أن (ممدوح) قد أصابه برصاصة من مسدسه ، فى اللحظة التى وثب فيها عليه ، وأن الدّماء التى سالت فوق قميصه كانت دماء ذلك الكائن المجهول ..

وسدَّد (ممدوح) ضوء الكشّاف نحو ذلك الكائن ، الذى سقط على الأرض تحت أقدام (بانشو) .

قال (بانشو) بأنفاس لاهثة :

ــ إنه ذئب .. لقد كنت أظنّ أنه حتّى الذئاب تخشى المجىء إلى هنا .

وأنحنى (ممدوح) ليفحصه قائلاً :

ــ بل هو كلب .. كلب متوحّش من النوع المدرَّب على القتل .

خرج الرجلان من الكهف ليدخلا كهفًا آخر مجاورًا أكثر عمقًـــا .. وكانت أعصاب (بانشو) قد بدأت تخذله ، على حين ظلّ (ممدوح) رابط الجاش ..

وأخذ يمرِّر ضوء الكشّاف على جميع جدران الكهف وجوانبه المظلمة ، فى حين ظل (بانشو) واقفًا فى مدخل الكهف وبندقيته فى يده .

قال (ممدوح) :

ــ يبدو أنه لا فائدة .. فلا شىء هنا أيضًا يدل على وجود آثار لأى حياة .. لا شىء سوى السكون ، وتلك الزواحف التى تتحرَّك على جدران الكهف .

وبينما كان خارجًا من الكهف ، سقط ضوء الكشّاف على شىء ما فى أرضه الحجرية .

وجثا (ممدوح) على ركبتيه ليفحص هذا الشىء .. كان شيئًا أقرب شبهًا بالمساحيق البيضاء .. وكان من الواضح أنها آثار لبقايا منه .

وتناول (ممدوح) بأطراف أصابعه بعضًا من هذا الشىء ، وأخذ يتأمَّله بعناية قائلًا :

ــ شىء غريب .. ما الذى أتى بهذا الشىء إلى هنا ؟.

وفجأة دوَّى فى المكان صوت غريب .. صوت أشبه بالترنيمات الجنائزية .

وتلفَّت (بانشو) حوله فى حدَّة ، وقد ركبه الفزع ، فيما ظلت تلك الأصوات الغريبة تتردَّد فى المكان ، مختلطة بأصوات أجراس ودقَّات طبول منتظمة ، تبدو وكأنها آتية من بعيد .

ووضح من بين تلك الأصوات الغريبة صوت رخيم ، أخذ يردِّد أولًا كلمات غير مفهومة ، ثم لم يلبث أن قال بلكنة واضحة :

ـ إن كل من ينتهك حرمة الملوك ، تحل عليه لعنة الملوك .. وكل من تطأ أقدامه القبور المقدَّسة ، ينال عقاب (الخُفَاش الأزرق) (جُوشا) .. حارس المقابر الأبدى .

ثم عاد الصوت يردِّد كلمات أخرى غير مفهومة ، مختلطة بدقَّات ، بدت وكأنها تنهال على قطعة من النُّحاس .

ثم عادت الأصوات تخفت شيئًا فشيئًا ، ثم ما لبث أن انقطعت تمامًا .. وران صمت رهيب على الرجلين برهة ..

وفجأة ارتفعت عقيرة (بانشو) ، يردِّد بصوت هستيرى داخل أرجاء الكهف قائلًا :

ـ أيًّا ما كنتم .. وأيًّا ما كانت قوتكم وقسوة حارسكم .. فإننى أريد أن أعرف مصير ابنى .. إن كان حيًّا فَرُدُّوهُ إلىَّ .. وإن كان ميِّتا فأرشدونى إلى قبره .

ثم لم يلبث أن انخرط فى نوبة من البكاء الحادّ .. وربَّت (ممدوح) على كتفه قائلًا :

ـ إنك مُتعب فيما أرى ، وأعصابك مرهقة .. حاول أن تحصل على قسط من النوم خارج الكهف ، وسأقوم بنوبة الحراسة .

ونام (بانشو) خارج الكهف ، فى حين ظل (ممدوح) يقظًا وهو يفكِّر فى عمق ..

وأخرج ورقة مطويَّة من جيبه ، كان قد وضع بها بقايا آثار المسحوق الأبيض ، الذى وجده داخل الكهف ، وعاد يفحصه من جديد .

ثم دخل إلى الكهف مرة أخرى، لكنه ما كاد يخطو بداخله بضع خطوات ، حتى عاد الصوت الغريب يتردَّد مرة أخرى فى أرجاء الكهف ، ملقيًا بتحذيراته المخيفة .

فأخرج (ممدوح) جهازًا صغيرًا من حقيبته الجلدية ، ثم ضغط على زرٍّ به ، فأصدر الجهاز أزيزًا متقطِّعًا ، ثم مالبث أن انطلق منه شىء فى حجم القلم الجاف الصغير ، على قمته جهاز أدق حجمًا شبيه بالرَّادار .

ظلَّ الرادار الدقيق يدور فى أرجاء الكهف على ارتفاعات مختلفة ، ثم اتجه أخيرًا نحو أعماق الكهف ، ليدور أمام أحد جدرانه الصخرية على ارتفاع ثلاثة أمتار .

وتتبع (ممدوح) حركة الرادار ، ثم صوَّب ضوء كشَّافه إلى المكان الذى توقَّف أمامه الرادار ، الذى ظل يدور حول نفسه .

وتسلَّق (ممدوح) الجدران الصخرية ، حتى وصل إلى ذلك المكان .. كان ذلك الرَّادار هو أحد تصميمات قسم الإختراعات والأجهزة الفنية ، التابع لإدارة العمليات

الخاصة ، وقد تم تصميمه لكشف وتحديد الأماكن التى تختفى بها أجهزة التصنُّت والمراقبة ، ومختلف الأجهزة الإلكترونية الأخرى التى تستخدم فى عمليات التجسُّس .

وقد أثبت الجهاز نجاحه بالفعل ؛ فقد لمح (ممدوح) بين الصخور المدبَّبة فى جدران الكهف ، وفى المكان الذى يدور أمامه الرَّادار مكبِّر صوت صغيرًا مختفيًا بين صخوره ، بالإضافة لكاميرا تليفزيونية للتصوير ، من النوع ذى الحجم الدقيق ، على بعد سنتيمترات من المكبِّر .. ولم يكن هناك شك فى أن الأصوات التى كانت تتردَّد منذ قليل مبعثها مكبِّر الصوت هذا .. وأن تلك الكاميرا كانت ترقب تحرُّكهما داخل الكهف .

وتتبع (ممدوح) الأسلاك الرفيعة الممتدة بين ثنايا الصخور ، والمتصلة بمكبِّر الصوت والكاميرا ، حتى وصلت يداه إلى تجويف ضيق للغاية ، على بعد متر واحد من مكان المكبِّر والكاميرا ، ومدَّ أصابعه داخل هذا التجويف ، حتى لامست زرًّا صغيرًا يختفى بداخله ..

وألقى عليه ضوء الكشّاف ليكشف مجموعة من الأزرار الأخرى بجواره .

وضغط (ممدوح) عليها جميعًا ، فانفتح الجدار الصخرى ، الذى لم يكن سوى طبقة من الصخر الزّائف ، تغطِّى بابًا فولاذيًّا داخل جزء كبير من الجدار .

ونظر (ممدوح) فلم ير أمامه سوى ظلام دامس ، ينطوى على فراغ .. وقبل أن يخطو داخل هذا الفراغ المظلم ، إذا عينان تلمعان فى الظلام أمامه مباشرة .. وفجأة اندفعت من تلك العينين المختفتين قذيفتان من النيران ، كادتا تحرقان وجهه ، لولا أن سارع وأحنى رأسه ، فتفاداهما ولما يكد ..





٨ ـ الخفاش الأزرق ..

قذف (ممدوح) بنفسه على الأرض ، وهو يحدق إلى أعلى فى فزع .. كان المشهد مخيفًا بحق .. لم تقع عيناه على نظير له من قبل .. فغير بعيد انتصب كائن غريب ذو وجه بشع ، وأجنحة قاتمة ، وأنياب تلمع فى الظلام .. فيما بدت عيناه ككرتين من نار .. هذا هو إذن الكائن الذى أثار الرُّعب فى قرية (كاميرو) والجبال المحيطة بها .. إنه (الخفَّاش الأزرق) .

وكان الكشَّاف الكهربى قد أفلت من يد (ممدوح) ، فى أثناء سقوطه على الأرض ، ولم يعد يبدو فى ظلام الكهف سوى تلك الأنياب اللامعة ، والعيون النارية .

واستمرت قذائف النيران تنطلق من عينى الخفَّاش نحو (ممدوح) ، الذى أخذ يتفاداها ، ويتدحرج على الأرض ، محاولًا اتقاءها ما وسعه ..



وفجأة تبدد الظلام وأضىء المكان ، وانطلقت عدَّة رصاصات فى اتجاه الخفَّاش ..

فقد ظهر (بانشو) حاملًا كشَّافه وبندقيته ، التى راح يطلق رصاصها نحو الكائن المخيف .

وكم كانت دهشة (ممدوح) ، حين تبيَّن أن الرصاص ليس له أدنى تأثير على ذلك الكائن المرعب .. بل رآه يقف متحفِّزًا ، وهو ينظر فى اتجاه (بانشو) متلقيًا الرصاصات فى صدره ، وقد أخذ يطلق فحيحًا مرعبًا .

ثم ما لبث أن نشر جناحيه ، وطار نحوه ، وسقطت البندقية من يد (بانشو) ، الذى حاول أن يستدير ويهرب ، ولكن الخفَّاش أطبق عليه بجناحيه .

واندفع (ممدوح) والتقط البندقية من الأرض ، ثم هوى بمؤخرتها بضربة هائلة على رأس الخفاش ، ليصرفه عن (بانشو) .

غير أن الضرَّبة لم تحدث سوى تأثير طفيف على ذلك الكائن ، الذى سقط من فوق أكتاف (بانشو) .. ولكنه

نهض سريعًا وهو يتهيَّأ للانقضاض على (ممدوح) ، باسطًا جناحيه من جديد ، وقد اتقدت عيناه ..

وحاول (بانشو) التدخُّل ، لكن (ممدوح) صرخ فيه قائلًا :

ــ ابتعد عن مصدر القذائف الناريَّة فى عينيه .

وأطلق (ممدوح) رصاصة من البندقية على قبضة الكائن ، التى كانت منطبقة فى نهاية ذراعه الملتصق بالجناح ، كما فى سائر الخفافيش ، وأطلق الخفَّاش صرخة مدوِّية ، وانطفأ الوهج فى عينيه ، وانفرجت يده ، فيما انبثقت الدماء منها ، ليتدلَّى منها جهاز صغير به عدة أزرار .

وأسرع (ممدوح) بالالتفاف خلفه ، والوثب فوق ظهره ، وقد لفَّ ذراعه حول عنقه صارخًا فى (بانشو) :

ــ الجهاز .. أسرع بانتزاع الجهاز من يده .

ووقف (بانشو) لحظة متردِّدًا .. ثم ما لبث أن اندفع نحو الكائن الخرافى ، لينتزع الجهاز المعلَّق فى يده ، ممزقًا الأسلاك المتصلة به ، والممتدة داخل جناحيه .

ولم يكد ينتهى من ذلك ، حتى أنشب (ممدوح) أظفاره فى ثنايا عنق الخفَّاش ، وسلخ عنه قناعه الجلدى الذى كان يلتصق بوجهه ورقبته التصاقًا محكمًا ..

وكان هذا القناع هو الذى يحمل صورة الخفّاش ، أما ما كان أسفله ، فلم يكن سوى وجه لرجل زنجى ضخم البنيان .

وأسرع (ممدوح) يخرج مسدسه ، ويصوّبه إلى رأس الزّنجى قائلاً :

ــ هذه هى حقيقة أسطورة الرُّعب الزائفة ، التى عاشها أهالى (كاميرو) .. إن خفاشكم الأزرق ليس سوى كائن وهمىّ ، اخترع خصيصًا لإثارة الرُّعب والفزع فى قلوبكم ، فى تلك المنطقة ، وليحُول دون مجرّد التفكير فى الاقتراب من تلك الكهوف ، التى يبدو أنها تنطوى على الكثير من الأسرار ..

لقد لاحظت أن يده اليمنى كانت منطبقة تحت جناحه الزائف ، بعكس اليسرى التى كانت منفرجة ، وقد برزت

منها تلك المخالب الزّائفة .. وكان من المستحيل أن تنطبق يده الأخرى وهى تضم مثل تلك المخالب الحادَّة .. فانتهزت فرصة محاولته إثارة خوفى ، حين نشر جناحيه فى مواجهتى ــ برغم حرصه على أن يطويها عندما يكون قريبًا ، حمايةً لذراعه ، التى تعد أضعف جزء فى جسده المغطَّى كله بواق ضد الرصاص ــ وصوَّبت على يده المنطبقة ، فبرز ذلك الجهاز الذى رأيته فى يده .. إنه جهاز توجيه إلكترونى متصل بدوائر لاسلكية ، تساعده على إطلاق قذائف النيران من عينيه ، كما تعمل على حمل جسده فى الهواء حين يهم بالطيران .

باختصار .. لقد زوّد هذا الرجل ــ بالإضافة إلى سترته وقناعه الزّائفين ، اللذين يظهرانه بتلك الصورة المفزعة ــ بأحدث معدات العصر التكنولوجية ؛ لكى يحقّق الغرض الذى أعد من أجله .. هذا فضلًا عن كاميرات التصوير وأجهزة التصنُّت وباقى الأشياء الأخرى المختفية فى ثنايا جدران هذه الكهوف ..

بانشو :

ـ ولكن لماذا ؟.. وما الهدف من وراء هذا كله ؟

ورفع (ممدوح) إليه بالورقة الصغيرة المطويّة ، التى تحتوى على المسحوق الأبيض ، قائلًا :

ـ من أجل هذا .. إنها عيّنة صغيرة عثرت عليها داخل الكهف ، وهى برغم ضآلتها تساوى مئات الجنيهات ..

ونظر (بانشو) إلى محتويات الورقة ، قائلًا لـ (ممدوح) بدهشة :

ـ أتقصد أن هذا المسحوق الأبيض .... ؟!

ممدوح :

ـ نعم .. هيروين .. هناك شىء ما يدور فى تلك الكهوف ، يتعلّق بتجارة المخدرات و ....

ولم يكد يتم جملته ، حتى أضاء المكان كشافات قوية ، وسمع الرجلان صوتًا غليظًا يقول :

ـ إنك على صواب أيها الرجل الذكى .. ويبدو أننى

لم أقدّرك منذ البداية حق قدرك ، وإلا كنت قد أجهزت عليك ، منذ اللحظة الأولى التى وضعت فيها أقدامك فى قرية (كاميرو) .

والتفت (ممدوح) التفاتة حادة خلفه ، فوقعت عيناه على شخص متوسط القامة ، ممتلئ الجسم ، وعلى وجهه آثار ندبة عميقة ، وقد تدلّى شاربه الأسود طول شفتيه الغليظتين كصوته .. وبجواره كان هناك ثُلّة من الرجال المسلحين بأحدث الأسلحة ، وقد صُوِّبت نحوهما .

ولمح (ممدوح) من بينهم (ويلبور) .. الرجل الذى تشاجر معه أمام المقهى ..

وقال (ممدوح) لنفسه :

ـ لا ريب أنهم قد جاءوا من وراء الجدار الصخرى .

وخلع العملاق الأسود سترة الخفّاش التى يرتديها ، وهو لم يزل يتألّم من الطلق النارى الذى أصاب يده ، ثم تقدّم من (ممدوح) وانتزع المسدس من يده .. ودفعه بقوة تجاه الرجل البدين الذى قال له :

ـ أعرِّفك بنفسى .. اسمى (روميرو) ، زعيم أكبر عصابة لتجارة المخدرات فى المكسيك وأمريكا الوسطى بأسرها ، وحفيد (جوشو مانديلا) مهرِّب الآثار الكبير ..

غمغم (ممدوح) فى سخرية :

ـ إن هذا يفسِّر بعضًا من الغموض المحيط بهذا المكان .

* * *



٩ ـ حقيقة الأسطورة ..

روميرو :

ـ إن ذكاءك وطموحك ، يعطيانك الحق فى كشف أسرار هذا الغموض .. خاصَّة أنك ستحملها معك إلى القبر الذى سنعده لك .. لقد كان أجدادى يحتكرون تهريب الآثار فيما مضى .. وكانوا يتعرَّضون فى سبيل ذلك للكثير من المخاطر ، على أيدى رجال الشرطة المحلية والأهالى ، فاستغلُّوا الأسطورة القديمة التى كانت تتحدَّث عن (الخفَّاش الأزرق) حارس قبور (التولتيك) ، وضخموا من هذه الأسطورة ؛ لتنتشر بين أهالى القرية البدائيين ، وليحُولوا بينهم وبين الاقتراب من الجبال والكهوف ، التى كانوا يتخذون منها أوكارًا لهم .

لكن الكثير من مقابر (التولتيك) نُهبت الآن ، ولم يعد بها ما يكفى من آثار ، والباقى منها ما زال مجهولًا .. كما

أن عمليات تهريب الآثار لم تعد تعطى عائدًا مغريًا ، بما يوازى مشاق البحث والتنقيب ، إذا ما قورنت بتجارة المخدرات .. لذا بدأ والدى يتّجه إلى نوع من أنواع التهريب ؛ وهو تهريب المخدرات .. فقد كانت مكاسبه تفوق بمراحل عمليات بيع آثار (التولتيك) .. وعندما مات أصبحت بعده المحتكر الأول للسُّوق ، وأكبر تجار المخدرات على مستوى أمريكا الوسطى بأسرها .

وبرغم أننا اتخذنا من جبال وكهوف (كاميرو) بتضاريسها الصعبة أوكارًا لنا ، ومجالًا لعمليات النقل والتهريب .. كما استعنا بالكلاب المدرَّبة ، وترسانات الأسلحة ، لتأمين عملياتنا ، وحمايتها عَبْر الجبال .. إلَّا أننا ظللنا بحاجة إلى حماية أكبر ، خاصة وقد أخذ البعض يتجرَّأ على الجبال ، بعد أن بدأت أسطورة (الخفَّاش الأزرق) تفقد تأثيرها على الأهالى ، وغيرهم من الباحثين .

ممدوح :

— وكنت بحاجة إلى تأكيد هذه الأسطورة ، وتحويلها

إلى حقيقة ، ليظل الرُّعب مسيطرًا على قلوب الأهالى وعقولهم .

وابتسم (روميرو) قائلًا :

— تمامًا .. ألَمْ أقل إن لديك قدرًا كبيرًا من الذكاء .. ولكى تَثْبُتَ تلك الخرافة فى قلوب وعقول أهالى (كاميرو) ، أتيت بذلك الرجل العملاق الذى تراه ، وزوَّدناه ببعض الملابس التنكُّرية والأجهزة العلمية ، فجعلت الأسطورة التى سادت قديمًا تظهر فى القرية ، مثيرة للرعب والقتل والدَّمار ، فى كل مرة يجرؤ فيها أحد على الاقتراب من منطقتنا المحرمة .. وعندما توطَّن الرُّعب فى قلوب الأهالى ، وأدركوا فداحة الثمن الذى يدفعونه عندما يأتى أحد منهم ، أو يسمحوا لغيرهم بالاقتراب من كهوف (التولتيك) ، تحوَّلوا هم أنفسهم إلى خط الدفاع الأول الذى يحمينا .. وتعاونوا على منع أى غريب من الاقتراب من الكهوف .

ونظر إلى (بانشو) قائلًا :

ـــ هذا إذا ما استثنينا (بانشو) العجوز .. الذى لابدَّ أن رغبته فى مفارقة الحياة ، هى التى دفعته إلى التعاون معك على الحضور إلى هنا .. وأنا أعده بأننى سأحقِّق له هذه الرغبة .

ونظر (ممدوح) إلى (ويلبور) ، وقال :

ـــ وبالطبع استغل صديقك هذا كونه من أهالى القرية ، ليساعد على ترويج وتضخيم الإشاعات ، التى تدور حول هذا الخفَّاش الخرافى .. وأيضًا تحريض الأهالى على منع أى غريب من الاقتراب من الجبال .

وحدج (ويلبور) (ممدوح) بنظرة غيظ ، فقد كانت ذاكرته لا تزال تعى ما ذاقه على يد (ممدوح) ، من لكمات وضربات مؤلمة .

واقترب منه فى محاولة لتوجيه لكمة قوية إلى فكِّه ، ولكن (روميرو) صدَّ ضربته قائلًا له :

ـــ لا .. إن بضع لكمات لا تكفى ؛ فأنا أعد لهما شيئًا أفضل .

ممدوح :

ـــ وإلى أن تنتهى من إعداد هذا الشىء .. هل لى أن أعرف مصير بعثة الآثار ، التى جاءت إلى هنا خلال الأسبوعين الماضيين .

روميرو :

ـــ إنهم ما زالوا أحياء فى أيدينا ، وقد تعجب أننى قد أبقيت عليهم حتى الآن .. ولكن ما أجبرنى على ذلك هى خدعة .. خدعة ذكية استخدمها مواطنك المصرى ، ويبدو أنكم جميعًا تتحلُّون بقدر وافر من الذكاء .. فبعد أن كشف أفراد البعثة نفس الشىء الذى كشفته أنت الآن ، وهو وجود كميات من المخدرات داخل أحد الكهوف ، قرَّرنا أن نتخلَّص منهم ، ولكن استطاع الأثرى المصرى أن يقنعنى بأنهم فى سبيلهم إلى كشف ضخم ، سيجعلنا نعتزل المهنة إلى الأبد ، ونعيش بقية العمر أثرياء .. وباستخدام بعض المصطلحات العلمية غير المعروفة والخرائط المعقَّدة ، أقنعنى بأنه وزملاءه متأكِّدون من وجود مقبرة تحتوى على

كميات لا حصر لها من ذهب الفراعنة و (التولتيك) ، وأن كل ما يحتاجون إليه هو بعض الوقت والصبر ، حتى يصل مع زملائه إلى مكان ذلك الكنز .. لكننى كشفت أمس فقط ، أن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد خدعة ، لجأ إليها ذلك الأثرى لكسب الوقت ، حتى يدبِّر مع باقى أفراد البعثة خُطَّة تتيح لهم الهرب .. وبما أنكم الآن هنا ، فسوف تشاركونهم العقاب الجماعى الذى أعددته لهم . والآن ...

وبتر (روميرو) عبارته ، حينما شاهد هو ومن معه (بانشو) ، الذى كان قريبًا من مدخل الكهف ، وقد انتهز فرصة اهتمام أفراد العصابة بـ (ممدوح) ، ليلتقط بندقيته التى سقطت بين الصخور ، فى حركة سريعة مفاجئة ، وراح يصوِّب منها عدة طلقات نحوهم ..

وقبل أن يبدأ الآخرون فى الردِّ عليه ، كان قد أطلق لساقيه الريح ، مندفعًا خارج الكهف ، وانطلق يقفز بين الصخور .

صاح (روميرو) فى أفراد عصابته فى حنق قائلًا :

ــ أحضروا لى هذا الوغد العجوز .. لا تدعوه يفلت منكم .. أريده حيًّا ، فسوف أعذِّبه بقتل ابنه أمام عينيه ، قبل أن أقتله هو نفسه ..

واندفع أربعة من أفراد العصابة فى أثر (بانشو) للَّحاق به ، فيما ساق (روميرو) وباقى رجاله (ممدوح) إلى أحد الكهوف الأخرى ، حيث كان أفراد البعثة الأثرية قد أُلْقُوا فى سجن خلف جدرانه .

* * *

كان (ممدوح) قد تلقَّى ضربة قوية فوق رأسه ، أفاق بعدها ليجد نفسه ، وباقى أفراد البعثة الأثرية ، معلَّقين من معاصمهم جنبًا إلى جنب بحبال قوية ، تتدلَّى من عمود خشبىّ ضخم .

وشعر (ممدوح) بألم شديد فى معصمه ، من تأثير تعليقه على هذا النحو المؤلم ، وقد تركت الحبال القوية أثرها على رسغيه .. أدار ناظريه حواليه ، فوجد بجانبه عالم الآثار المصرى ، الذى ابتدره قائلًا فى صوت ضعيف :

— لا أدرى كيف أوفيك حقك من العرفان على تعريض نفسك لهذه المخاطرة ، من أجل إنقاذنا من براثن هؤلاء الأشرار .. برغم أنه للأسف سينتهى كل شىء بعد قليل ؛ فقد أخبرنى زعيمهم أن نهايتنا قد دنت ، وأنه سيتخلص منا دفعة واحدة بأسلوب مبتكر .

ممدوح :

— هل عثروا على (بانشو) ؟

عالم الآثار المصرى :

— لا أدرى .. أغلب الظن أنهم ينتظرون حتى يعثروا عليه ، لتكتمل به المذبحة الجماعية التى يعدونها لنا .

قال أحد الرجال المعلقين بالحبل :

— إنهم لن يعثروا على أبى ، برغم خبرتهم بتلك الجبال .. فأنا أعرفه جيدًا .. إنه صعب المراس ، ولديه قدرة على الاحتمال ، تفوق قدرتهم جميعًا ، برغم سنوات عمره المتقدمة .

وردَّ عليه (ممدوح) قائلًا :

— إننى متأكد من ذلك .. إن لك أبًا جديرًا أن تفخر به أيها الشاب ، فقد قهر الخوف فى نفسه ، وعرَّض حياته للموت من أجل العثور عليك .

قال عالم الآثار الألمانى متألمًا :

— تبًّا لهذه الحبال !! إنها تكاد تمزق معصمى .. هل سنظل هكذا معلقين كالذبائح فى هذه الكتلة الخشبية ؟. يجب أن نفعل شيئًا .. أى شىء .

قال (ممدوح) بإصرار :

— بالتأكيد سنفعل شيئًا ..

ونظر إلى عالم الآثار المصرى بجواره ، وسأله :

— أتستطيع أن تتشبث بالجبال جيدًا ، ولا تهتز فى حركتك ؟

أجابه الأثرى المصرى قائلًا :

— نعم .. ولكن ماذا ستفعل ؟.

ممدوح :

— سأرفع قدمى حتى مستوى فكك ، وعليك أن تضغط بأسنانك فوق مقدمة حذائى .

ونظر إليه الأثرى المصرى ، مقطبًا جبينه بدهشة ، قائلًا :

ــ ماذا ؟.

ممدوح :

ــ معذرة لأن أطلب منك هذا .. لكن ليست هناك وسيلة أخرى ، ففى مقدمة الحذاء قطعة من البلاستيك المقوّس ، بداخلها شفرة رفيعة ، وحادة للغاية .. وكل المطلوب منك أن تحاول جذب قطعة البلاستيك هذه إلى الخارج بأسنانك .

الأثرى المصرى :

ــ حسنًا .. سأحاول .

وتشبَّث (ممدوح) بالحبال المدلّاة ، ثم أخذ يؤرجح جسمه إلى الخلف ، ليرفع ساقيه إلى أعلى فى مواجهة عالم الآثار المصرى ، حتى أمكنه أن يثبّت قدميه فوق صدره ، ثم أخذ يرقى بقدميه قليلًا قليلًا فوق أكتافه .. وقد جاهد الأخير ليظل ثابتًا برغم صعوبة وضعه ، حتى استطاع

(ممدوح) أن يرفع حذاءه الأيمن إلى مستوى فك الأثرى المصرى .

وبعد عدة محاولات ، أمكن الأثرى المصرى أن يُطبق بأسنانه على مقدّمه حذاء (ممدوح) ، ثم جذبها إلى الخلف بكل قوته .

وهنا برزت من مقدّمة حذاء (ممدوح) آلة طويلة حادة ، بدت على شكل منجل ..

كان (ممدوح) يتصبَّب عرقًا ، من جراء المجهود العنيف الذى بذله ، ومع ذلك عاد يؤرجح جسمه مرة أخرى ، فى حركات بهلوانية يحسده عليها محترفو الجمباز ، ليقوّس جسده قوسًا كاملًا ، برغم الآلام الهائلة التى كانت تسبِّبها تلك الحركات العنيفة لرسغه الموثق بالحبال .

وأخيرًا استطاع (ممدوح) أن يلتف حول نفسه ، جاعلًا قدميه إلى أعلى ، وقد مسَّت الشفرة الحادّة البارزة من حذائه الحبال التى تقيِّد يديه .

وبمجهود هائل ، وفى صبر عجيب ، تمكّن (ممدوح) من أن يعمل الشفرة مرات ومرات فى الحبال ، حتى وسعه أن يمزّقها ؛ ليسقط على الأرض بعد أن حرّر يديه .

* * *

١٠ ـ الحفل الرّهيب ..

أسرع (ممدوح) يحرّر رسغيه من آثار الحبال الباقية ، بعد أن انتزع قطعة البلاستيك المطّاطيّة ذات الشفرة من مكانها فى مقدمة حذائه ..

وحين تهيّأ لتخليص رفاقه وتحرُّرهم إذا هو يسمع أصواتًا آتية من الخارج ، ورأى الجدار الصخرى يتحرّك مرتفعًا إلى أعلى .. فأسرع يتعلّق بالجزء الباقى من الحبال المدلّاة من العمود الخشبى ، متظاهرًا بأنه لم يزل مقيّدًا بها .

وظهر (روميرو) ومعه ثلاثة من رجاله ، يتبعهم العملاق الأسود ، وهو يرتدى ملابس (الخفّاش الأزرق) ، حاملًا القناع الذى يمثّل وجه الكائن المخيف بين يديه .

وكان أول ما استرعى انتباه (ممدوح) ، أن أسلحتهم ما كانت مشهرة ، بل معلّقة حول أكتافهم وخصورهم .

قال (روميرو) ، موجّهًا حديثه للرجال المعلّقين بالحبال :

— لقد كنت أتمنّى أن يشارككم (بانشو) العجوز حفلتكم .. ولكن للأسف لم يعثر رجالى على هذا الوغد حتى الآن .. وبما أننى لا أميل لتأجيل حفلكم أكثر من ذلك ، فسوف أبدؤه معكم الآن .. وإن كنت أعدكم بأننى سأقيم لذلك الكلب حفلة خاصة ، عندما يقع بين يدىّ ، فهو لا يستطيع أن يظل مختفيًا فى تلك الجبال إلى ما لا نهاية .

وضحك (روميرو) ، وتابع حديثه :

— والآن سأعرّفكم ببرنامج الحفل .

ووضع يده فوق كتف العملاق الأسود قائلًا :

— إن عزيزى (جوداس) سيقدّم لكم أحد أدواره الممتعة فى شخصية (الخفّاش الأزرق) ، التى أثارت الرُّعب والفزع فى ربوع قرية (كاميرو) .. وأنا على ثقة أنكم لن تروْا مثلها بعد الآن .. فسوف يرتدى أمامكم قناعه ، مستخدمًا جهازه الخاص ، ليطلق عليكم — واحدًا بعد الآخر — قذائف اللهب من عينيه المتوهجتين .. وفى النهاية ستتحوّلون الى ما يشبه الخراف المشويّة .

وصار يضحك بصوت مجلجل ، وهو ينظر إلى رجاله الذين راحوا يضحكون بدورهم .. ثم قال لـ(ويلبور) ، الذى كان يقف بجانبه :

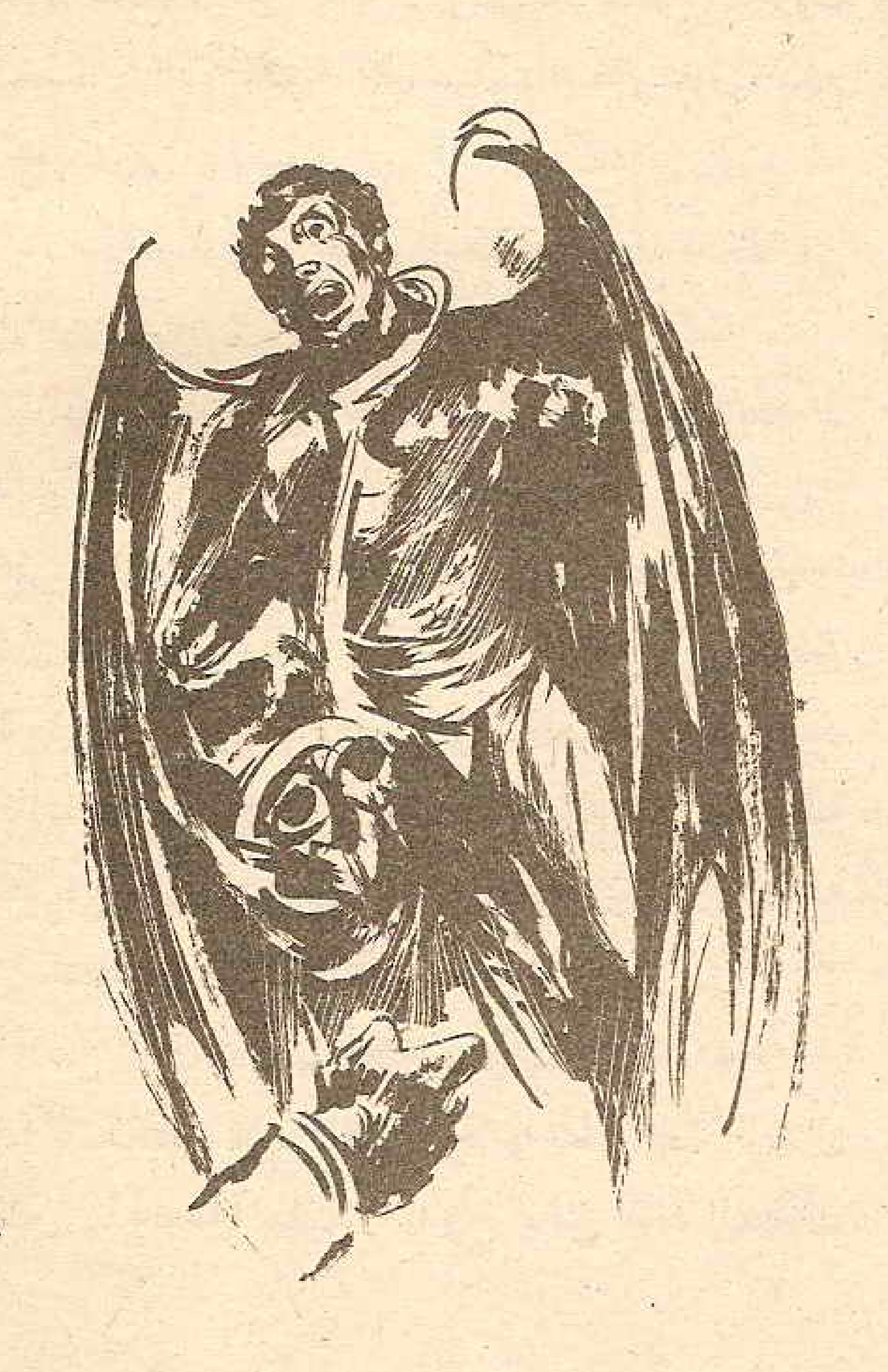
— ألم أقل لك إننى أعدّ لهم شيئًا أفضل بكثير من لكماتك .

وتوقّف عن الضحك ليشير إلى العملاق الأسود ، قائلًا بعد أن جلس فوق أحد المقاعد :

— والآن يمكنك أن تبدأ عرضك يا عزيزى (جوداس) .

كان (ممدوح) لا يزال قابضًا بين يديه على قطعة البلاستيك ، ذات الشفرة الحادة ، وفى اللحظة التى همّ فيها (جوداس) بارتداء قناعه ، كان (ممدوح) قد وثب إلى الأرض فجأة ، وهو يقوّس قطعة البلاستيك فى الاتجاه العكسى لتقوُّسها ، وكأنها (سوستة) مطّاطيّة ؛ بحيث أصبحت شفرتها الحادّة بارزة إلى الخارج .. ثم صوّبها بدقّة وإحكام فى اتجاه العملاق الأسود .

وكان للمفاجأة وعامل السرعة أثرهما البالغ ، فى شل تفكير (روميرو) ورجاله على القيام بتصرُّف سريع ..



كما كانت للحظة التى أعقبت المفاجأة أثرها فى سيطرة (ممدوح) على الموقف .

فقد انطلقت قطعة البلاستيك المطَّاطيَّـة من يد (ممدوح) كالسهم ، لتستعيد تقوُّسها الأول فى أثناء احتكاكها بالهواء .

وعندما استعادت وضعها وأصبحت أشبه بالمنجل ، كانت شفرتها التى تشبه الموسى الحادَّة ، قد التفت حول عنق العملاق الأسود قبل أن يرتدى قناعه ، وتحوَّلت إلى ما يشبه الطَّوق .. لكنه كان طوقًا داميًا .

وأطلق الزَّنجى ــ الذى طالما أثار الرعب فى (كاميرو) متنكرًا فى شخصية الخفَّاش الخرافى ــ صرخة ألم ، وقد انغرست الشفرة فى عنقه .. فيما اندفع (ممدوح) فى سرعة البرق نحو أحد رجال (روميرو) ، قبل أن ينزع مدفعه الرشَّاش فى حزامه من فوق كتفه ، ويسدِّد إليه بقدمه ضربة عنيفة من ضربات (الكونغ فو) ..

كانت الضربة أشبه بالمطرقة ، فأخلَّت بتوازن الرجل ،

فسقط المدفع من بين يديه .. وقبل أن يلمس الآخرون أسلحتهم .. كان (ممدوح) قد سبقهم جميعًا وتناول المدفع من على الأرض ، ليصوّبه إليهم قائلًا :

— سأعتبر أول من يلمس منكم سلاحه ، متنازلًا عن الباقى من عمره .

وردَّ (روميرو) ورجاله أيديهم عن أسلحتهم ، بعد أن أحدث تهديد (ممدوح) أثره فيهم .

قال (ممدوح) ، وقد تأكّد من سيطرته على الموقف :

— فليُلْق كلٌّ منكم بسلاحه إلى الأرض ، وبإصبعين فقط من يده اليسرى ، ثم يتولّى كل شخص منكم فكَّ قيود الرجال المعلّقين بالحبال .. وتذكّروا جيّدًا أن أى خطإ بسيط ، سيعنى عدم سيطرتى على الرصاصات المتلاحقة التى ستنهمر من ذلك الرشّاش .

أذعن أفراد العصابة مكرهين لتعليمات (ممدوح) ، فألقوا بأسلحتهم على الأرض ، وقاموا بفك قيود الرجال المعلّقين .. وبعدها طلب (ممدوح) من أفراد البعثة أن

يقوموا بدورهم بتقييد (روميرو) وعصابته من معاصمهم ، على نفس النُسق الذى كانوا هم عليه .

قال (روميرو) لـ (ممدوح) بغيظ ، وهو يضغط على أسنانه كمدًا ، بعد أن تولّى أحد أفراد البعثة تقييده :

— سأجعلك تندم على ذلك .. فرجالى يملئون الجبال ، ولن تستطيع أن تخرج منها أنت ورفاقك الأوغاد أحياء ، إلى أى مكان آخر فى العالم .. ربما هربتم من الموت حرقًا .. لكنى سأجعل رجالى يقدّمونكم طعامًا للنُسور التى تحلّق فوق هذه الجبال .

ولم يأبه (ممدوح) بكلماته ، وإنما أسرع بتسليم رجال بعثة الآثار أسلحة أفراد العصابة ، وهو يستحثهم على الإسراع بالخروج من وراء الجدار الصخرى .. وإن هى إلّا لحظات ، حتى كانوا جميعًا قد اندفعوا إلى الخارج .

وسألهم (ممدوح) قائلًا :

— من منكم يستطيع أن يرشدنا فى هذه الجبال إلى مكان القرية ؟

قال له (ماركو) :

ــ أنا أرشدكم إليها ، فأنا أعرف دروب هذه الجبال جيِّدًا .

ممدوح :

ــ حسنًا ، فلنسرع .. فما زلنا فى دائرة الخطر ، ومن الممكن جدًّا أن تتحقَّق تهديدات (روميرو) لنا ..

وأسرع الرجال ينطلقون بين الصخور الجبلية ، وهم يقتفون أثر (ماركو) ، وكلهم أمل فى الإفلات من هذه المنطقة الملعونة ..

* * *

وبعد مسيرة شاقة ، وصلت مجموعة الرجال إلى سهل جبلى ، تحوطه مرتفعات صخرية حادَة ، وكان الليل قد أرخى سدوله ، وقد أنهكهم التعب ، وأخذ منهم كل مأخذ .. وشعروا بأنهم لا طاقة لهم بمواصلة السير أكثر من ذلك .

قال عالم الآثار الإنجليزى لـ (ممدوح) ، وقد برح به الألم والتعب :

ــ لا طاقة لى بالمضىّ خطوة واحدة ..

ممدوح :

ــ إن كل دقيقة نقضيها فى تلك الجبال تحمل فى طيّاتها نُذر الخطر ..

قال له العالم الإنجليزى ، وهو يتهاوى إلى الأرض :

ــ فليكن ما يكون ، فأكاد أموت من شدة الإرهاق والتعب .

وأمّن الآخرون على كلماته بقولهم :

ــ إننا حقًّا بحاجة إلى قسط من الراحة ، فنحن مُنْهَكُون للغاية .

لكن قبل أن يجيبهم (ممدوح) ، كانت قد انطلقت رصاصة ، لتستقرّ فى ظهر أحد المرشدين الذين يصاحبون البعثة .

وسبح المكان بضوء مبهر من كشّافات قوية ، أحالت السهل الجبلى إلى مثل ضوء النهار .

وصرخ (ممدوح) فيهم قائلًا :

— ألقوا بأنفسكم على الأرض ، وسارعوا بالاحتماء داخل الشقوق ، وأسفل الكتل الجبلية النائية ..

وسرعان ما ألقى الجميع بأنفسهم على الأرض ، وراحوا يتدحرجون ، وكل منهم يحاول أن يتخذ لنفسه مكانًا ، بين الشقوق الجبلية ، أو أسفل الكتل الصخرية الضخمة ، اتقاء طلقات الرصاص ، التى أخذت تنهمر من فوق التلال الجبلية المحيطة بهم .

وتناهى إلى سمع (ممدوح) وهو قابع فى أحد الشقوق صوت (روميرو) ، يتردَّد صداه بين التلال قائلًا :

— لقد وعدتكم أن أقدِّم جثثكم طعامًا للنسور ، وهأنذا أنفِّذ وعدى .!!

* * *



١١ — مصيدة الجبل ..

كان (ممدوح) قد نجح فى جذب عالم الآثار المصرى إلى جواره ، داخل الشق الصخرى ، بعد أن أصابته رصاصة فى يده .

وسأله (ممدوح) قائلًا :

— دعْنى أرى مكان الجرح .

أجابه عالم الآثار المصرى :

— لا تكترث .. إنه ليس على درجة كبيرة من الخطورة .. المهم ، تُرى ما نحن فاعلون الآن ، وقد غدَوْنا تحت رحمة أسلحتهم ؟.

أجاب (ممدوح) وعلى وجهه أمارات التفكير :

— لا أدرى .. حتى لو فكرنا فى استخدام أسلحتنا ضدهم فى محاولة انتحارية منّا ، وبرغم موقعهم المتميِّز فوق التلال .. فإن تلك المحاولة لن تجدى ؛ لأننا لن نستطيع أن

نرى حتى خيالاتهم ، وهم محتمون خلف تلك الكشافات القوية التى تحجب عنا الرؤية ..

ودوّت عـدَّة رصـاصات على مقربة من الشـقِّ الصَّخرى ، الـذى يحتمى فيه (ممدوح) والدكتـور (نجيب) ، فى ذات اللحظة التى همَّ فيها عالم الآثار أن يطل برأسه .

وسمع (ممدوح) صوت (روميرو) ، وهـو يطلق ضحكة مجلجلة قائلًا :

ــ إننا نستطيع أن ننتهى منكم فى لحظات لو أردنا ذلك .. ولكن الليالى طويلة ومملَّة فى تلك الجبال ، ورجالى سعداء للغاية بهذه التَّسلية التى تتيحونها لهم .. إنكم لن تستطيعوا أن تظلُّوا محتمين طويلًا وراء تلك الكتل الصخرية وفى ثنايا الشقوق .. فلابدَّ أن الجوع والعطش والتعب ستدفعكم للخروج إلى السهل ، ووقتها سنصطـادكم كالجرذان .. وكلما طالت اللُّعبـة أصبحت أكثر متعـة بالنسبة لى ولرجالى .

وقال الدكتور (نجيب) لـ (ممدوح) :

ــ إن كلامه يحمل الكثير من الصحة .. فنحن لن نستطيع أن نصمد طويلًا على ذلك الوضع . . وحتى لو فعلنا فالأمر فى النهاية سيكون سيان ، فإما أن نموت فى تلك الجحور من الجوع والعطش ، أو نخرج منها ليحصدنا رصاصهم من فوق التلال .

ممدوح :

ــ لا تجعل اليأس يتسرَّب سريعًا إليك ؛ فلابـدَّ أن هناك مخرجًا من هذه المصيدة التى نصبوها لنا .

الدكتور (نجيب) :

ــ كيف ؟.

ممدوح :

ــ دَعْنى أرى .. إن هذه التلال التى يتربَّصون لنا فوقها هى فى مواجهتنا تمامًا .. والأضواء مركَّـزة على السَّهل ، وهذا المرتفع الصخرى الذى نختبئ بين شقوقه .. فإذا ما استطعت أن أصل إلى أسفل أحد تلك التلال ، التى

تبعد عنا بثلاثة أمتار ونصف تقريبًا ، فسأكون بعيـدًا عن مجال رؤيتهم ، وسأحاول تسلُّق المرتفعات الصخرية ، محتميًا بكتلها البارزة ، ومعتمدًا على أننى بعيد عن دائرة الضوء ، وبالتالى لن يستطيعوا تحديد موقعى ، حتى أفاجئهم فى أعلى التلال .

قال له عالم الآثار المصرى مستنكرًا :

ـــ إنها فكرة جنونية .. فأولًا لو حاولت التحرُّك خطوة واحدة من هنا نحو التلال ، فسيحصدونك برصاصهم .. وحتى لو نجحت فى الوصول إلى هناك ، وتسلُّق التَّل ، فماذا ستفعله وحدك فى مواجهة عصابة كاملة من الأشرار بكامل أسلحتهم ؟

مُمدوح :

ـــ مهما يكن من أمر ، فلا مناصَ من المحاولة .. إن هذا سيكون أفضل من أن نموت كالفئران .

الدكتور (نجيب) :

ـــ ولكنك تعلم جيِّدًا أنك لن تستطيع أن تخرج من الشق الصخرى .. فبمجرَّد أن تطل برأسك سيمطرونك بالرَّصاص .

ممدوح :

ـــ لا تقلق لهذه المسألة .. المهم ، ما أن أبدأ فى التحرُّك ، حتى تبدأ أنت فى محاولة شغْلهم بالحديث بصوت عالٍ .. حاول أن تتكلم عن أى شىء ، وليكن عن الكشف الأثرى الوهمى ، وذهَب الفراعنة ، وما إلى ذلك .. المهم حاول أن تشدّ انتباههم دائمًا إلى الاتجاه الذى تتحدَّث منه ، حتى تشغلهم عنِّى ..

الدكتور (نجيب) :

ـــ ولو أنِّى لا أعرف كيف ستنفِّذ خُطَّتك الجنونية هذه ، ولا أوافق عليها ، لكنى سأحاول أن أفعل ما تطلبه منِّى .

ممدوح :

ـــ حسنًا .

وأخرج (ممدوح) من داخل حزامه الجلدى خمس كبسولات صغيرة ذات ألوان مختلفة ، ووضعها داخل خزانة مسدسه ، بعد أن أفرغ رصاصاتها .

ثم قال للدكتور (نجيب) :

ـ إن هذه الكبسولات من نوع خاص ، وسترى تأثيرها سريعًا .

ورفع يده إلى أعلى ، وأطلق الكبسولات الخمس الواحدة تِلْو الأخرى فى طلقات سريعة .

وارتفعت الكبسولات إلى أعلى دون أن تحدث صوتًا ، لم تكد تحتك بطبقات الجوّ العليا ، حتى انطلقت منها أصوات فرقعات عالية ، وصواريخ ذات ألوان مختلفة ، تشبه تلك التى تطلق فى الاحتفالات والمهرجانات .. وأحدث الصَّخب والألوان البرَّاقة تأثيرها على الرجال المتربِّصين فوق التلال ، فجذبت انتباههم ، ووقفوا لحظات مشدوهين ، وهم لا يدرون مصدر هذه الصواريخ النارية ..

واغتنم (ممدوح) الفرصة ، فاندفع مخاطرًا بحياته ، ليثب بخطوات واسعة سريعة نحو التلال المواجهة .

وقبل أن يدرك رجال (روميرو) معنى ما يرونه ، كان (ممدوح) قد استطاع أن يصل إلى أسفل التل الصخرى ، وأسرع يتسلَّقه كالفهد .

وعندما تأكد عالم الآثار المصرى من نجاح (ممدوح) فى تنفيذ الجزء الأول من خطته ، شرع هو ينفِّذ ما طلبه منه .

فصرخ بأعلى صوته قائلًا :

ـ (روميرو) ، إنك تخطئ خطأ جسيمًا لو قتلتنا ، فما قلته لك عن ذَهَبِ الفراعنة صحيح .. وأستطيع أن أثبت لك ذلك ، لقد كنا نفكِّر فى البداية أن نخفى الأمر عنك ؛ حتى لا تقتلنا بعد الوصول إلى الذَّهب .. ولكن الخريطة الحقيقية معى ، ونستطيع أن نبدأ الحفر فى المكان الصحيح .

ودوَّت عدَّة رصاصات على مقربة منه ، تناثرت على أثرها أجزاء من الصخر .

وسمع صوت (روميرو) وهو يقول له :

ـــ هل تظن أنك تستطيع أن تخدعنى مرتين يا عالم الآثار ؟. لقد انتهى الأمر يا عزيزى ، وسوف أجعلك شبيهًا بالمومياوات التى تبحث عنها .. وأعدك أنه لن يكون هناك من يستطيع كشف قبرك مهما استعان بخرائط .

وفى أثناء ذلك ، كان (ممدوح) لا يزال مستمرًا فى محاولته الوصول إلى قمة التل ، وهى يحتمى بالكتل الصخرية البارزة فى أثناء صعوده .

واستمر الدكتور (نجيب) فى محاولته قائلًا :

ـــ أرجوك .. صدِّقنى هذه المرة .. إن ذهب الفراعنة حقيقة ، ولدىَّ ما يؤكد وجوده .. فقط أعطنى بعض الثقة .

وضحك (روميرو) قائلًا :

ـــ حسنًا .. اخرج من وراء الشُّقوق ، وسترى كيف أعطيك ثقتى .

وبعد مجهود عنيف ، استطاع (ممدوح) أن يبلغ قمة التَّل ، بعيدًا عن أماكن الكشافات ، حيث رأى أحدها ،

وقد وقف خلفها اثنان من رجال (روميرو) ، وهما ممسكان بأسلحتهما .

وحاول (ممدوح) ألَّا يصدر عنه صوت ، يلفت انتباه الرجلين الرابضين خلف الكشَّافات ..

وعمد إلى المفاجأة ، فاندفع خلفهما مستترًا بالظلام ، مصوِّبًا مسدسه إلى ظهريهما برغم خلوِّه من الرَّصاص ، قائلًا بصوت آمر :

ـــ ها نحن أولاء نلتقى من جديد أيها الأصدقاء .. ألقيا سلاحيكما إلى الأرض ، قبل أن أفرغ طلقات هذا المسدس فى رأسيكما .

وصدع الرجلان للأمر دون تفكير .. فالتقط (ممدوح) المدفع الرشاش ، والبندقية الآلية اللتين كانتا معهما ، ليلقيهما وراء ظهره ، ثم هوَى بمؤخرة مسدسه فوق رأسيهما ، فتكوَّما على الأرض فاقدى الوعى .

وحرَّك (ممدوح) الكشَّاف الدائرى المثبَّت فوق قمة التَّل ، وصوَّبه نحو (روميرو) وأعوانه ، حيث كانوا

يقفون على مسافات متقاربة ، وأعمى الضوء أبصارهم . فحجب عنهم الرؤية ..

وصاح (روميرو) بغضب ، قائلًا لـ (ممدوح) وهو يظنه أحد أفراد عصابته :

ـــ ماذا تفعل أيها المجنون ؟.

وكان (ممدوح) قد تناول المدفع الرشّاش ، وراح يطلق وابلًا من نيرانه نحو الكشّافات الضوئية الأخرى ، فيحطّمها .

وفى اضطراب ترك (روميرو) ورجاله أماكنهم خلف الكشّافات ، وأسرعوا يتدافعون فى كل مكان مذعورين .

ولم يلحظ (ممدوح) أن هناك رجلين آخرين من أعوان (روميرو) يتقدمان نحوه من الخلف من الجهة الأخرى ، وعلى مسافة غير بعيدة ، وقد صوّب أحدهما بندقيته الآلية فى اتجاهه .

* * *

١٢ ــ معركة فوق الصخور ..

قبل أن تنطلق الرّصاصة لتصيب (ممدوح) ، كان الرجلان قد خرّا إلى الأرض ، وقد استقرت فى جسديهما عدّة رصاصات ، جاءت من وراء الكتل الحجرية الضخمة فوق التل .

ونظر (ممدوح) فى اتجاه الكتل الحجرية التى انطلقت الرصاصات من ورائها ، ليرى (بانشو) وهو يلوّح له ببندقيته ، ومعه عدد من الأهالى .

قال له (بانشو) بمرح :

ـــ يبدو أننا قد وصلنا فى الوقت المناسب ، أيها المغامر المصرى .. لقد جاء معى عدد كبير من أهالى القرية ، لمساعدتك أنت وأفراد البعثة .. كما أننا قد اتصلنا برجال الشُّرطة ، وهم فى طريقهم الآن إلى الجبال .

ودارت معركة عنيفة ، تبادل خلالها (ممدوح) والأهالى النيران مع أفراد العصابة .

قال (روميرو) بصوت عالٍ ، وهو يحتمى وراء صخرة ضخمة ممسكًا بمدفعه :

ــ إنك واهم أيها المصرى ، إن ظننت أنك تستطيع أن تنتصر علىَّ ومعك هؤلاء القرويُّون السُّذَّج .. فلدىَّ المئات من الرجال ، غير تلك المجموعة التى تراها ، وهم فى طريقهم الآن إلى هنا .. من الأفضل أن تستسلم ، وأن تقنع الآخرين بالإستسلام ، وأنا أعدكم بالعفو عنكم .

ردَّ عليه (ممدوح) ، وهو يقف وراء إحدى الكتل الحجرية :

ــ ستكون أنت الواهم إذا لم تستسلم الآن فورًا .. فهؤلاء البسطاء ليسوا سوى المقدمة ، وسوف ترى أن الجبال والكهوف التى تحميك ، ستغص بعد قليل بالمئات من رجال الجيش والشُّرطة ، الذين سيأتون ليضعوا نهاية لشُرورك وآثامك ..

وشعر (روميرو) بالقلق من كلمات (ممدوح) ، فطلب من أحد رجاله أن يحميه بإطلاق عدة رصاصات ،

ثم اندفع يجرى بين صخور التلال ، محاولًا الهرب والنجاة من الخطر القادم .

ولمحه (ممدوح) ، فاندفع وراءه حتى استطاع أن يقطع الطريق عليه ، وحاول (روميرو) استخدام سلاحه ، ولكن (ممدوح) أطلق رصاصة سريعة أصابته فى يده ، فسقط سلاحه على الأرض .

قال له (ممدوح) :

ــ أعتقد أن الوقت قد حان للاستسلام .. أليس كذلك يا عزيزى ؟ .

أجاب (روميرو) بيأس :

ــ بلى .. يبدو أنك انتصرت أخيرًا .

وفى تلك اللحظة ظهر أحد رجال (روميرو) ، وأطلق رصاصة فى اتجاه (ممدوح) ، الذى أسرع بإلقاء نفسه على الأرض .. ومن الوضع راقدًا جاوبه (ممدوح) برصاصة مماثلة صرعته فى الحال ، وحين انطلق (روميرو) هاربًا ، ضغط (ممدوح) على زناد مسدسه ، الذى أصدر تكة أدرك (ممدوح) منها أن ذخيرته قد نفدت .

وقفزت إلى سحنة (روميرو) ابتسامة وحشية، بعد أن سمع صوت المسدس الفارغ ..

واستدار فى مواجهة (ممدوح) ، بعد أن أمسك بكتلة مدبَّبة من الحجر ، قائلًا :

ـــ ستعرف الآن من منّا الذى انتصر أيها المصرى .

وهوى بالحجر على رأس (ممدوح) ، الذى صدّ ضربته وهو يمسك بذراعه بقوة ، ثم لواه إلى الخلف ، وضغط بكل قوته على معصمه ، حتى أسقط منه الحجر .

وقال له (ممدوح)، وهو يقف قبالته وجهًا لوجه :

ـــ عليك الآن بدون رجالك وأسلحتك وخفّاشك المزعوم ، أن تثبت بيديك العاريتين أنك تستطيع أن تنتصر .

قال له (روميرو) ، وهو يضغط على أسنانه فى غيظ :

ـــ سترى .

ثم جمع قبضته وهوى بها على (ممدوح) ، الذى أفسد عليه ضربته ، إذ عاجله بعدة لكمات قوية ، أنهاها بلكمة

خطَافية عنيفة ، هوى (روميرو) على أثرها إلى الأرض فاقد الوعى تمامًا .

قال (ممدوح) وهو ينظر إليه وهو ينفض يده ، ويعدل من ثيابه :

ـــ كما توقَّعت تمامًا .. فأنت لا تساوى شيئًا بدون هذه الأشياء التى ذكرتها .

وفى اللحظات التالية كانت طائرات الهليكوبتر العسكريَّة تحلّق فوق الجبال ، ورجال الشُّرطة يُحدقون بالمنطقة .

* * *

حُظِىَ (ممدوح) بتكريم كبير من عدة جهات فى المكسيك ، بعد أن تم القبض على المهرِّبين ، وتطهير (كاميرو) وجبالها من الأشرار ، وشحنات السموم ، وأسطورة الرُّعب التى ظلَّت تخيِّم عليها .

وعادت جبال وكهوف (كاميرو) ، لتصبح مزارًا للسائحين ، وأملًا للباحثين والمستكشفين .

وعادت بعثة علماء الآثار للتنقيب مرة أخرى ..

يحذوها الأمل فى كشف العلاقة المجهولة بين حضارة قدماء المصريين و (التولتيك) .

وكان التكريم الأكبر الذى لاقاه (ممدوح) من جانب أهالى قرية (كاميرو) ، الذين اعتبروه البطل المنقذ الذى حرَّرهم من الخوف ، الذى تغلغل فى نفوسهم ، وتوارثوه سنوات طويلة ..

وسعد (ممدوح) برؤية (بانشو) وولده ، وهما يرقصان معًا إحدى الرقصات الشعبية ، تعبيرًا عن ابتهاجهما ، وهما يشاركان أهالى القرية احتفالهم ..

وحين أذنت ساعة الرحيل بالنسبة لـ (ممدوح) ، تقدَّم إليه (بانشو) حاملًا قناع (الخفاش الأزرق) ، الذى كان يرتديه العملاق الزِّنجى ، قائلًا له :

ــ لقد أحضرت لك هذا القناع ، ذكرى للأوقات العصيبة التى قضيتها هنا .

وأخرج (ممدوح) قدَّاحته ، ليشعل النار فى القناع قائلًا :

ــ بل إننى أفضِّل حرقه أمامكم ، لتحترق معه كل الخرافات والمخاوف التى عرفتها هذه القرية الطيبة ، وأهلها المسالمون .. ولكم أن تطمئنوا .. فلم يعد هناك ما يمكن أن تخشوه بعد اليوم ..

ثم استقل سيارته فى طريقه إلى العاصمة المكسيكية ، ليستقل منها الطائرة العائدة إلى القاهرة .

على حين اصطفَّ أهالى القرية على الجانبين يودِّعونه ويلوِّحون له بأيديهم .

* * *

[تمت بحمد الله]

المؤلف



أ . شريف شوقى

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات
بوليسية للشباب
من الخيال العلمى

• الخفاش الأزرق •

وكان (ممدوح) قد تناول المدفع الرشاش ، وأخذ يقذف بوابل من نيرانه نحو الكشافات الضوئية الأخرى ؛ ليحطمها ..

وترك (روميرو) ورجاله أماكنهم خلف الكشافات ، وأخذوا يندفعون فى كل مكان مذعورين .

العدد القادم : (رأس العقرب)

الثمن فى مصر
وما يعادل دولارًا أم...
فى سائر الدول العربية و...